كراسة فى تراجم ستة من أعيان ولاية دمشق، وخمسة من أخبارها فى القرن الحادى عشر الهجرى/ السابع عشر الميلادى

تحقيق ودراسة: مشهور عبد الرحمن الحبازى

ملخص

هذا البحث هو عبارة عن تحقيق ودراسة الكراسة الثانية من كرّاستين مخطوطتين. وجدتهما فى مكتبة ليدن بهولندا، ألَّفهُما الحسن بن محمد البورينى فى بداية القرن الحادى عشر الهجرى/ السابع عشر الميلادى.

وقد أعطيتها العنوان: "كراسة فى تراجم ستة من أعيان ولاية دمشق، وخمسة من أخبارها فى القرن الحادى عشر الهجرى/ السابع عشر الميلادى".

فى البحث قسمان: القسم الأول، الدراسة، عرَّفتُ فيها بمؤلف المخطوطة؛ اسمه، ونسبه، ومولده، ووفاته، ثم عرَّفتُ بالمخطوطة، وبيّنتُ سبب عنونتى للكرّاسة، ووصفتها، ووضّحتُ مضمونها، ثم تحدّثت عن نسخها، ثم بَيّنت عملى فى تحقيقها. وفى القسم الثانى، التحقيق، أوردت نصَّ المخطوطة محققًا، وفق قواعد تحقيق المخطوطات.

Abstract

This project is a study and an editing of the second kurasa of two masterpiece kurasas found at Lyden library in Holand. Both are authored by Alhasan ben Mohammad Alburini at the beginning of the Eleventh century of alhijra (seventeenth A.D).

I entitled it with "kurasa on the Biography of Six Nobilities in Damascus State and on Five Major Events in the Same Period".

This project is comprised of two parts: The first, the study, in which I introduced for the author of the manuscript, in regard to his name, kinship, birth, place, and death date. Then, I introduced the manuscript, explaining the reason behind the new title of the kurasa, and provided a description of its content, and its copying, and finally the nature of my work on it. In the second part. the editing, I presented the edited manuscript according to manuscript editing descriptors.

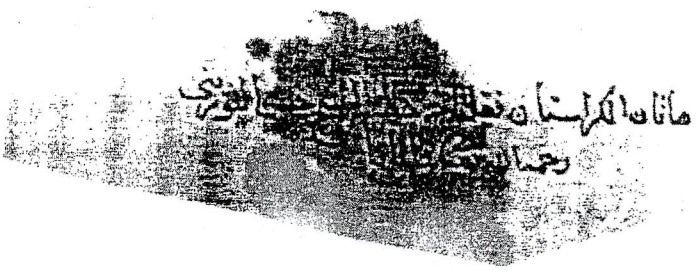

صورة ق ٦٢/ب من المخطوطة (ل) وهي تبين عنوان المخطوطة

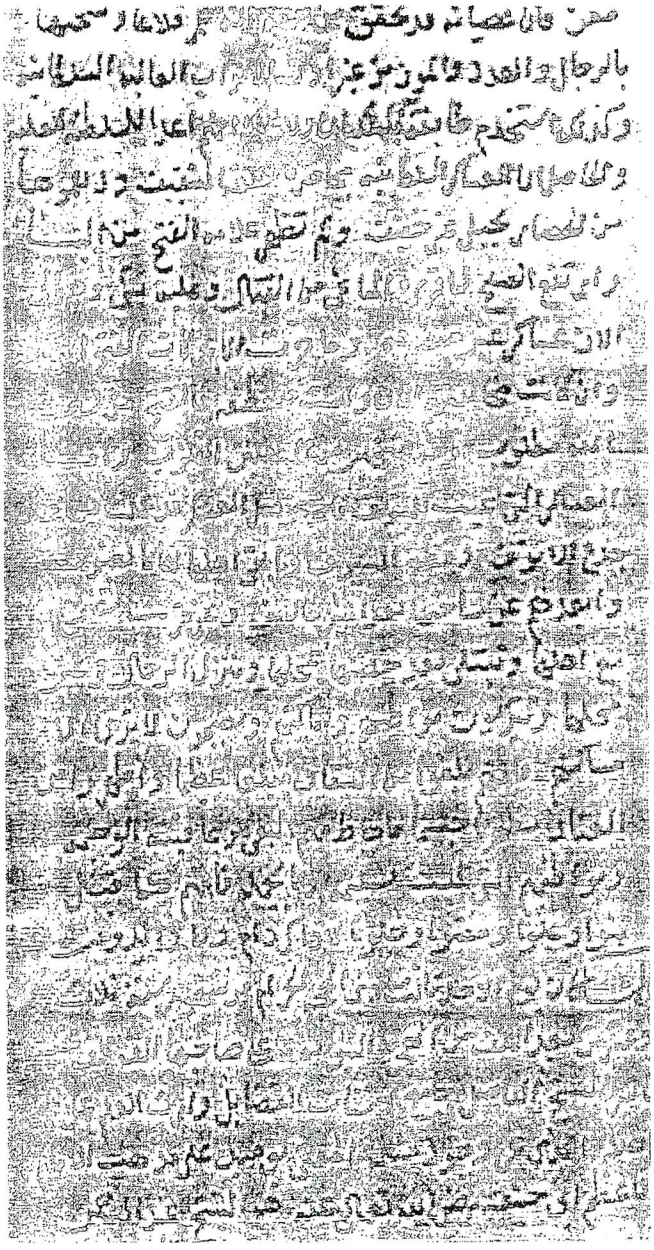

صورة ق ٦٥/ب من المخطوطة (ل) وهي تبين الصفحة الأولى من الكراسة الثانية، وتبدأ فى السطر الخامس من الأسفل

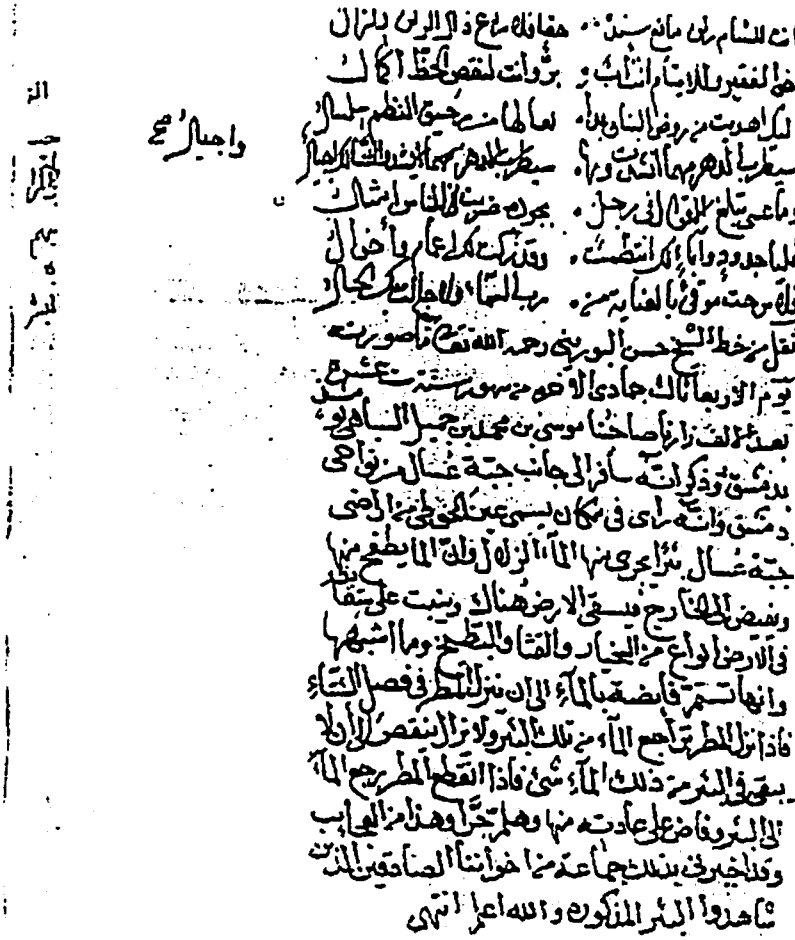

صورة ق ٨٠/ب من المخطوطة (ل) وهي نهاية الكراسة الثانية.

أولاً- الدراسة

١- تعريف بالحسن البوريني

قدّمت لتحقيق الكراسة الثانية بتعريف القارىء بمؤلف المخطوطة، تعريفًا موجزًا؛ لأن للمؤلف ترجمات كثيرة فى المؤلفات التى عاصرته، وأتت بعده[١]، كما أنّ أكثر من دارس ممّن درسوا هذه الفترة ترجموا له، أو درسوه[٢]. وقد جاء تعريفى بالحسن البوريني، على النحو الآتى:

أ- اسمه ونسبه ومولده

هو الحسن بن محمد بن حسن بن عمر الصفوريّ مولدًا، البوريني أصلاً، الدمشقيّ، المقدسيّ نسبة، يكنى بأبى الضياء، ويلقّب ببدر الدين[٣].

أصله من قرية بورين جنوبى مدينة نابلس بفلسطين، وهاجر والده منها إلى قرية صفورية قرب الناصرة، وهناك تزوج امرأة صفورية، فولد لهما ابنهما الحسن، ولما بلغ السابعة من عمره هاجر به والده إلى دمشق طلبًا للعلم[٤].

كان عمل محمد بن محمد البوريني والد الشاعر الحسن فى أول حياته التنجيد، ثم عمل فى العطارة، لكنه لمّا ذاع صيت ابنه الحسن، وتولى مناصب فى التعليم والقضاء بدمشق، انقطع عن العمل، ولازم ابنه فى حضور دروسه، وأعماله. وكان الحسن بارًا بوالده يكرمه فى كل الأحوال[٥].

---

(١) انظر: النجم الغزى، لطف السمر، ١/٣٥٥-٣٩٠؛ الشهاب الخفاجى، ريحانة الألبا، ١/٤٢-٥٢؛ محمد المحبى، خلاصة الأثر، ٢/٥١-٦٢ .

(٢) انظر: البوريني، تراجم الأعيان، مقدمة المحقق، ١/٨-٢٦؛ مشهور الحبّازى، الحسن البوريني، ١/٣٢-١٧٧ .

(٣) انظر: البوريني، تراجم الأعيان، ٢/٢١٤؛ الشهاب الخفاجى، خبايا الزوايا، ق١٤/أ؛ ابن معصوم، سلافة العصر، ص٣٧٠ .

(٤) انظر: البوريني، تراجم الأعيان، ١/٣٠٤؛ النجم الغزى، لطف السمر، ١/٣٥٦؛ مشهور الحبّازى، الحسن البوريني، ١/٤٠ .

(٥) انظر: النجم الغزى، لطف السمر، ١/٣٥٦-٣٥٧؛ محمد المحبى، خلاصة الأثر، ٢/٥؛ مشهور الحبّازى، الحسن البوريني، ١/٣٥ .

ب- وفاة البوريني.

ابتلى الحسن البوريني مثل كثير من معاصريه بأكل البرش[١]، فأثّر ذلك على هيئته وحركته من دون أن يؤثر على عقله، وازداد تأثير البرش على البوريني حتى مرض، مرض الموت وتوفى وقت عصر يوم الأربعاء ثالث جمادى الأولى سنة ١٠٢٤ للهجرة النبوية الشريفة، الموافق للخامس عشر من حزيران سنة ١٦١٥ للميلاد[٢].

٢- تحقيق: "كراسة فى تراجم ستة من أعيان ولاية دمشق، وخمسة من أخبارها فى القرن الحادى عشر الهجرى/ السابع عشر الميلادى".

أ- تقديم

الكراسة هى الجزء الثانى من مخطوط موجود فى مكتبة ليدن بهولندا تحمل الرقم (٩٦١)، وعنوان المخطوطة كما هو مسجّل عليها هو: "هاتان الكرّاستان نُقلتا من خط الشيخ حسن البورينى رحمه الله، وإيّانا".

ولا يوجد فى المخطوط ما يشير إلى بداية ونهاية كل من الكرّاستين. وقد حصلت على صورة فوتوغرافية عن المخطوط الأصل.

أورد الدارسون المحدثون الذين ذكروا هذا المخطوط تحت عنوان" "تقرير حول الحوادث التى حصلت فى دمشق فى السنوات (١٠١٨/١٦٠٩-١٠٢٣/١٦١٤)، وسيرة عن الشيخ عبد الرحمن بن عماد الدين الحنفى"[٣]. وعندما نسخت المخطوط، وتمعّنت فى مضمونه، وجدت أنه يحتوى على مجموعة من الحوادث السياسية التى حدثت فى ولاية دمشق الشام فى الفترة المشار إليها، ولا يحتوى على سيرة عبد الرحمن العمادى كاملة كما وردت فى كتاب "تراجم الأعيان من أبناء الزمان" للحسن البورينى، بل جزء منها، وترجمة غير وافية لستة من أعيان ولاية دمشق فى ذلك العهد، وخمسة أخبار وردت فى كتاب "تراجم الأعيان" للحسن البورينى.

وبناء على مضمون الكرّاستين رأيتُ أنْ أفصل بينهما لغرض تحقيقهما، ونشرهما نشرًا علميًا، وفقًا للشروط التى تضعها المجلّات العلمية المحكّمة.

(١) البرش: تركيب مخدّر كالأفيون، يسبب لآكله ضيقًا، ومن يأكله يداوم على أكله، ويتكلّف كلفة كبيرة حتى يستطيع تركه، وأغلب ما يكون ذلك بالتناقص من غير ضرر. ويلحق أضرارًا كبيرة بمن يأكله، انظر: البورينى، تراجم الأعيان، ٧٤/١ .

(٢) انظر: ابن أيوب الأنصارى، الروض العاطر، ق١١٥/أ؛ النجم الغزى، لطف السمر، ٣٧٧/١ .

(٣) انظر: بروكلمان، تاريخ الأدب العربى، ٧١/٨؛ محمد الحافظ، علماء دمشق، ٣٠٩/١ .

وقد أعطيت الكرّاسة الأولى العنوان: "كراسة حول الحوادث التى حصلت فى ولاية الشام فى السنوات (١٠١٨/١٦٠٩-١٠٢٣/١٦١٤)". والكراسة الثانية العنوان: "كراسة فى تراجم ستة من أعيان ولاية دمشق، وخمسة من أخبارها فى القرن الحادى عشر الهجرى/ السابع عشر الميلادى".

ب- وصف المخطوطة

تتكون الكرّاسة الثانية من المخطوطة من خمس عشرة ورقة وخمسة أسطر، وهى تمتد من الورقة ٦٥/ب-٨٠/ب. غير ورقة العنوان، التى هى مشتركة بين الكرّاستين. وتفصيلها على النحو الآتى:

ورقة العنوان، تحمل الرقم ٦١، وهى مكوّنة من صفحتين؛ الصفحة الأولى (ق٦١/أ) ليست من المخطوطة التى ألفها الحسن البورينى، ومكتوب عليها بشكل غير مرتب، وبخط مختلف عن خط الكرّاستين: البسملة، وحديث للرسول صلى الله عليه وسلم، وأبيات شعرية بعضها مقروء، وبعضها غير مقروء. والصفحة الثانية (ق٦١/ب) هى من المخطوط، وكتب عليها عنوان المخطوط فى أعلاها، أقرب إلى جهة اليمين، وقد جاء العنوان فى سطرين غير كاملين، وهو: "هاتان الكرّاستان نقلتا من خط الشيخ حسن البورينى رحمه الله تعالى، وإيّانا". فى السطر الأول ٧ كلمات، وفى الثانى ٤ كلمات.

يوجد على العنوان بقعة سوداء كبيرة نسبيًا لكنّها لم تؤثر على العنوان، كما توجد بقع سوداء فى بقية أجزاء الصفحة، وهى متركّزة على الجزء الأسفل بالجهة اليسرى من الصفحة.

الكرّاسة مكتوبة بخط النسخ، وخطّها فى غالبيته العظمى واضح ومقروء، وعدد سطور كل صفحة ٢٣ سطرًا، وفى الصفحة الأولى من الورقة توجد التعقيبة (الكلمة الأولى من الصفحة الثانية). والنسخة غير مضبوطة، ولا توجد فيها أخطاء نحوية، أو إملائية تذكر.

وعلى الورقات من ٦٥-٦٧ من الكرّاسة الثانية بقع سوداء هى على الأغلب صورة عما ورد فى صفحة العنوان. وهو امتداد لما ورد فى الكرّاسة الأولى، لكنه يخفّ تدريجيًا حتى لا يكاد يظهر فى الصفحة (٦٧/ب). والسواد كله لم يؤثر على الكتابة فى صفحات المخطوط من الكرّاستين الأولى والثانية على حدٍّ سواء.

لا يوجد للنسخة ناسخ، أو تاريخ لنسخها، أو الانتهاء من نسخها، كما لا توجد لها مقدّمة أو خاتمة، أو نصّ تمليك.

ج- مضمون الكرّاسة

تضم هذه الكرّاسة بعضًا من تراجم لستة أعيان، وأربعة أخبار، ورسالة اعتذار. وهى متداخلة بعضها مع بعض، وموجود كثير منها فى كتاب "تراجم الأعيان" للحسن البورينى. ومضمونها كما هو فى الكرّاسة، ووفق ترتيبه هو:

١- ترجمة عبد الرحمن العمادى، وتقع فى ق٦٥/ب-٦٧/ب. وهى فى تراجم الأعيان، ٣١٨/٢-٣٢٢ . مع اختلاف بسيط.

٢- خبر عزل الأمير يوسف بن سيفا لابنه حسين عن ولاية طرابلس الشام، ويقع فى ق٦٧/ب-٦٨/ب. غير موجود فى تراجم الأعيان.

٣- ترجمة الوزير أحمد باشا الحافظ. وتقع فى ق٦٨/ب-٦٩/ب. وهى فى تراجم الأعيان، ٢٠١/١، ٢١٥-٢١٦ .

٤- ترجمة أحمد بن شاهين، وتقع فى ق٧١/أ-٧٣/أ . وهى فى تراجم الأعيان، ١٣٩/١-١٤٤ .

٥- ثلاثة أخبار عن: نوح بن أحمد الأنصارى، ومحمد بن صنع الله، ودرويش محمد بن صنع الله. وتقع فى ق٧٣/ب. وهى مأخوذة من تراجم الأعيان، ١٤٥/١ .

٦- ترجمة يوسف بن أبى الفتح، وتقع فى ق٧٣/ب-٧٥/ب. وهى فى تراجم الأعيان (فيينا)، ١٤٩/ب-١٥٠/ب.

٧- رسالة اعتذار من أحمد بن شاهين للحسن البورينى، وتقع فى ق٧٥/ب-٧٩/ب. وهى فى تراجم الأعيان، ١٤٦/٢-١٥٥ .

٨- ترجمة محرّم الطرابلسى، وتقع فى ق٨٠/ب. وهى فى تراجم الأعيان (فيينا)، ق١٤٢/ب-١٤٣/ب.

٩- ترجمة موسى بن جميل السباهى، وتقع فى ق٨٠/ب. وهى فى تراجم الأعيان (فيينا)، ق١٤٢/ب.

د- نسخ المخطوطة

تبيّن لى بعدما بحثت فى كل ما وقع بين يدىّ من كتب، وفهارس مكتبات ترجمت للحسن البورينى، مؤلف الكرّاستين، أنّه لا توجد إلاّ نسخة واحدة للمخطوطة هى النسخة الموجودة فى مكتبة ليدن بهولندا . والتى تحمل الرقم (٩٦١).

وفى أثناء بحثى عن ترجمة للأعيان المذكورين فى الكرّاسة الثانية، وتوثيق للأخبار الواردة فيها، وجدت أنّ كثيرًا مما ورد فى الكرّاسة موجود فى كتاب "تراجم الأعيان" للبورينى المطبوع والمخطوط.

وبناء عليه وجدت أنّ من المناسب جدًا اعتبار ما ورد فى كتاب "تراجم الأعيان" هو بمثابة نسخة ثانية للمخطوطة.

وعليه فإنّنى اعتمدت النسخة الموجودة فى مكتبة ليدن متنًا للنّص، ورمزت للنسخة فى ليدن بالرمز (ل). واعتمدت ما ورد فى "تراجم الأعيان" نسخة ثانية. ولم أرمز له برمز محدّد لأنّه محقّق ومنشور فى أغلبه، والجزء المخطوط اعتمدت فيه على نسخة مكتبة (فيينا)، فأشرت إليه هكذا: تراجم الأعيان (فيينا). واعتمدت فى توثيقه الأسس المتبعة فى التوثيق العلمى.

هـ- عملى فى التحقيق

قمت بتحقيق الكرّاسة على النحو الآتى:

١- اعتمدت نسخة ليدن (ل) فى المتن، وقارنتها بما ورد فى كتاب "تراجم الأعيان" للحسن البورينى حيثما ورد. وفى أى مصدر آخر.

٢- التزمت بالنّص كما ورد فى النسخة (ل)، وإذا ورد خلاف بين النسخة (ل) وكتاب "تراجم الأعيان" أو أى مصدر آخر، أشرت إلى الخلاف فى الحاشية. وأبديت الرأى فى ذلك.

٣- قمت بتوضيح الأحداث التاريخية، وبتعريف مناسب لأعلام الأشخاص والأماكن التى وردت فى الكرّاسة ما أمكننى ذلك.

٤- عرّفت بالمصطلحات، والكلمات، والجماعات التى وردت فى الكرّاسة بما يزيل اللبس عنها، ويجعلها واضحة مفهومة فى ذهن القارئ.

ثانيًا- النّص المحقق

(ق٦١/ب) "هاتان الكرّاستان نقلتا من خط الشيخ حسن البوريني، رحمه الله تعالى، وإيّانا".

لما كان يوم الأحد ثالث ذى الحجة الحرام من شهور سنة ثلاث وعشرين بعد الألف من الهجرة النبوية على صاحبها ألف ألف تحية، باشر الشيخ الفاضل جامع أشتات الفضائل، وارث العلم عن أصله، عزّ وجود مثله، المفتى يومئذ على مذهب الإمام الأعظم أبى حنيفة رضى الله تعالى عنه هو الشيخ عبد الرحمن (ق٦٦/أ) ابن استاذنا الإمام الهمام شيخ مشايخ الإسلام، فخر علماء البلاد، المولى الأعظم العماد[١] الحنفى - تدريس المدرسة السلطانية السليمية بصالحية[٢] دمشق المحميّة، وتولى تدريس المدرسة المذكورة فى التاريخ المذكور أعلاه حيث قاضى دمشق حينئذ المسمى بشيخ محمد بن شيخ الإسلام محمد أفندى بن شيخ الإسلام المسمى بشيخ محمد إلياس الشهير بجوى زاده[٣]، بلّغه الله الحسنى وزيادة، وعلوفَتُها[٤] فى كلّ يوم خمسون درهمًا عثمانيًا. ومعيده فيها الشيخ لطفى بن يحيى بن الشمس المنقار الحلبىّ الأصل، الدمشقىّ المولد والمنشأ[٥].

وقد ذهب للتدريس بها فى يوم الأحد المذكور، وكان كاتب الأحرف الفقير الحقير المعترف بالقصور، والتقصير، الحسن بن محمد البوريني[٦]، حاضرًا للدرس المذكور،

(١) تخريج ترجمة الشيخ عبد الرحمن العمادى، وردت ترجمته فى: البوريني، تراجم الأعيان، ٣١٨/٢- ٣٢٤ . وكثير من المعلومات التى وردت فى (ل) وردت فى "تراجم الأعيان"، وبنصّها الحرفى. وقد ساعدنى ذلك فى قراءة بعض الكلمات غير الواضحة، لكن لم أجد ضرورة للمقارنة بين النصّين إلا فى القصيدة.
هو: الشيخ عماد الدين عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد، شيخ الإسلام، عاش ما بين (٩٧٨/١٥٧٠- ١٠٥١/١٦٤١)، مات أبوه وهو ابن سبع سنين، فاجتهد فى تحصيل العلوم، وبرع فى العلوم الشرعية، فعمل فى التدريس والافتاء، وكان شاعرًا مجيدًا. ترجمته فى: البوريني، تراجم الأعيان، ٣١٧/٢؛ محمد المحبى، خلاصة الأثر، ٣٨٠/٢، شمس الدين الغزى، ديوان الاسلام، ٣٢١/٣ .

(٢) هى جامع ورباط وتكية بناها السلطان العثمانى سليم الأول بعد عودته من مصر على قبر الشيخ الصوفى محيى الدين بن عربى، سنة ٩٢٣/، ١٥١٧ بحى الصالحية بدمشق. انظر: محمد كرد على، خطط الشام، ١٣٨/٦؛ الحصنى، منتخبات التواريخ، ٥٨٥/٢ .

(٣) انظر: ابن جمعة المقار، الباشات، ص٣٠ . ولم أعثر له على ترجمة.

(٤) العلوفة: ما كانت تدفعه الدولة لذوى الاستحقاقات نظير الطعام والشراب، مقابل خدمات معيّنة، أو على سبيل المكافأة، أى أنها تشمل الرواتب، والمكافآت فى آن معًا. انظر: رضى الدين الحنبلى، درر الحبب، ٣٥١/١ .

(٥) هو لطفى بن يحيى بن الشمس المنقار الحلبى الأصل، توفى بعد ١٠١٨/١٦٠٩، أحد علماء العربية فى عصره، له نظم حسن، وأكْثَرَ من الهجاء. ترجمته فى: محمد الحافظ، علماء دمشق، ٢٤٢/١؛ أكرم العلبى، تكملة شذرات الذهب، ص٥٢٠ .

(٦) هو مؤلف هاتين الكرّاستين.

وكان الكلام على قوله تعالى فى سورة يس: ﴿وجاءَ منْ أَقصى المدينةِ رجلٌ يَسْعى﴾[١] إلى آخر الآيات المتعلّقة بقصة حبيب النجار.

وكان حاضرًا للدرس من فضلاء دمشق جماعة متكثرين منهم: المعيد المذكور[٢]، ومنهم الشيخ يوسف[٣] بن أبى الفتح حفيد الشيخ العارف المشهور بالشيخ منصور، الشهير بخطيب السقيفة. ومنهم الشيخ الصالح إمام المدرسة السليمية الشيخ أيوب[٤] المقرىء الفاضل، ومنهم الشيخ الفاضل أحمد[٥] بن الشيخ إبراهيم الشهير بابن محب الدين[٦]، وهو ابن خالة المدرس المذكور.

ومنهم الشيخ محمد[٧] بن علاء الدين الطرابلسى الحنفى. وحضر أناس آخرون من الفضلاء، والصلحاء، وحضر أيضاً فخر الأصلاء، وذخر النبلاء عبد اللطيف جلبى بن المرحوم محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن قاضى القضاة ولى الدين بن قاضى قضاة مصر والشام الشهاب بن الفرفور[٨].

ولمّا تمّ الدرس بُعيد أذان الظهر قرأنا الفاتحة (ق٦٦/ب) ودعونا الله تعالى، وصلينا الظهر، وسرنا إلى قصر القاضى أكمل[٩] بن مفلح الذى تملكه بعده، وزاد فيه

(١) سورة يس؛ ٣٦/٢٠ . وقد كتبت فى: ل: "وجاء رجل من أقص المدينة يسعى". وكلمة أقصى كتبت على الهامش الأيمن للصفحة وبجانبها كلمة صح. ومكانها فى الصفحة كتبت كلمة أهل. وشطبت بخط مائل.

(٢) أى الشيخ لطفى بن يحيى بن الشمس المنقار.

(٣) هو: يوسف بن أبى الفتح بن منصور بن عبد الرحمن الدمشقى، عاش ما بين (٩٩٤/١٥٨٥-١٠٥٦/١٦٤٦)، عرف بخطيب السقيفة، عمل بالتدريس والافتاء، ثم تولى الإمامة لاثنين من سلاطين بنى عثمان فى استانبول إلى وفاته. ترجمته فى: البورينى،تراجم الأعيان (فيينا)، ق١٤٩/ب؛ محمد المحبى، خلاصة الأثر، ٤٩٣/٤؛ نفحة الريحانة،٦٨/١ .

(٤) لم أعثر على ترجمة له.

(٥) فى ل: أحمد مكرّرة.

(٦) لم أعثر على ترجمة له.

(٧) هو: محمد بن علاء الدين الطرابلسى، من أهل طرابلس الشام، كان صديقًا للبورينى. أنشد البورينى قصيدة فى منزله سنة ١٠١٦/ ١٦٠٧ ترجمته فى: البورينى، تراجم الأعيان (فيينا)، ق١٤٢/ب.

(٨) هو: محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن الفرفور الدمشقى، عاش ما بين (٩٨١/١٥٧٤-١٠٢٢/١٦١٣)، تتلمذ على يد البورينى بدمشق، وقامت بينهما صداقة، ترجمته فى: البورينى، تراجم الأعيان (فيينا)، ق١٣٣/أ؛ النجم الغزى، لطف السمر، ٤٤/١؛ محمد المحبى، خلاصة الأثر، ١٦٦/٤ .

(٩) هو: القاضى محمد بن إبراهيم الحنبلى، المعروف بالقاضى أكمل الدين بن القاضى برهان بن مفلح، كان شاهدًا بالمحكمة، ثم ولى قضاء بعلبك، وناب فى الزيدانى، كان متهتكًا يحب المجون، ويأكل البرش، ويستولى على أوقاف الناس؛ فذمّوه. ترجمته فى: النجم الغزى، لطف السمر، ٧٣/١؛ محمد المحبى، خلاصة الأثر، ٣١٤/٣ .

زيادة حسنة القاضى يوسف بن كريم الدين، رئيس الكُتّاب يومئذ بمحكمة الباب[١] بدمشق المحروسة. والقصر المذكور فى مقابلة دار الحديث الأشرفية[٢] بالصالحية، وأنه الآن قصر قُصرت عليه المحاسن، وجرى فى نواحيه ماء غير آسن، يتراءى منه الروض الأريض. ويتحشّى بين غصونه النسيم المريض، فأقمنا به بقية يومنا، وكان يومًا مشهودًا، ووقته بعون الله مسعودًا، ومدّ فى القصر المذكور سماطًا حافلاً، وكان لنفائس الأطعمة كافلاً.

وجلسنا للمذاكرة، وتجاذب أطراف المشاعرة، فقلت، وقد صعدت من سلم المكان المذكور، وهو عال إلى الغاية، كثير الدرج إلى غير نهاية[٣]: [المجتث]

١- أَصبحتُ شيخًا كبيرًا لا أستَطيعُ النُّهوضَا

فقال المدرس مولانا الشيخ عبد الرحمن مُجيزًا:

٢- وقدْ رمانيْ زمانيْ بمَا يذودُ القَريْضَا

٣- أَبْغي[٤] القريْضَ فألْقَى دُونَ القريضِ الجَريْضَا

فقال الشيخ يوسف المذكور أعلاه مُجيزًا[٥]:

٤- لا يطّبيني محلٌّ لو كانَ روضًا أريْضَا[٦]

٥- ما إنْ تمنَّيْتُ شيْئًا إلاّ وجدتُ النَّقيْضَا

(١) محكمة الباب: سميت بذلك لأنها كانت قريبة من باب القلعة الشرقى، أو نسبة إلى سلطة الدولة ممثّلة بالباب العالى. وتسمى المحكمة النورية، لأنها تقع مواجهة للمدرسة النورية الكبرى، كانت مركز قاضى القضاة بدمشق لذلك دعيت أيضًا باسم محكمة باب الأفندى. انظر: النجم الغزى، لطف السمر، ٢٧/١؛ أحمد البديرى، حوادث دمشق، ص١٧٨ .

(٢) هى: إحدى دور الحديث بدمشق، تقع جوار باب القلعة الشرقى، غربى سوق العصرونية، أوله، أنشأها الأشرف موسى سنة ٦٢٨/١٢٣٠، وهى اليوم مدرسة إعدادية للعلوم الشرعية. انظر: النعيمى، الدارس، ١٩/١؛ محمد كرد على، خطط الشام، ٧٣/٦ .

(٣) تخريج القصيدة، وردت فى:

- البوريني، الديوان، ٤٦٩/٢-٤٧١ . وقدّم لها كما فى: ل.
- البوريني، تراجم الأعيان، ٣١٩/٢-٣٢٢ . وقدّم لها كما فى: ل. وقد أوردها خلال ترجمته للشيخ عبدالرحمن العمادى، وأورد قصة هذه القصيدة المشتركة كاملة، وهى لا تختلف عمّا فى ل: إلاّ فى موضعين، والاختلاف لا يخل بالمعنى.

(٤) فى البوريني، الديوان، ٤٦٩/٢؛ تراجم الأعيان، ٣٢٠/٢: أُلقى.

(٥) فى البوريني، الديوان، ٢/ ٤٧١ وردت الأبيات ٤-١٠ على أنها ٢٤-٣٠ .

(٦) الروض الأريض: الروض لين الموطئ، الذى يعجب الناظر إليه؛ ابن منظور، لسان العرب، مادة أرض.

وقال الشيخ عبد الرحمن:

٦- آهًا لبيضِ ليالٍ غازلْتُ فيهنَّ بيضَا

فقلتُ بعد هذا البيت:

٧- وشِمْتُ أجفانَ لحظٍ سَلَّتْ من السُّودِ بيضَا

٨- سُقيًا لأيّامِ وصْلٍ وردْتُ فيها البَريضَا[١]

(ق٦٧/أ) فقال المدرس:

٩- معْ كلِّ يوسُفَ حسْنٍ قدْ كنتُ فيه حريضَا[٢]

١٠- ما لاحَ للغيدِ إلاّ وجدْنَ منه المحيضَا

فقال الشيخ يوسف:

١١- أيامَ ماءُ مَلامِيْ منْ لاعجِ الوجدِ غِيضَا

وقال مولانا الشيخ عبدُ الرّحمن:

١٢- كم زرتُ فيها حبيبًا وقدْ عدمتُ البَغيضا

١٣- وكم يدُ الوصل فيها أَسدَتْ ندًى مُسْتَفيضا

١٤- واهًا لها من ليالٍ لوْ أَمكنتْ أَنْ تَؤوضا[٣]

١٥- أَقْضي بهنَّ حُقوقًا فاتَتْ وكانتْ فُروضا

وقلت:

١٦- مُذْ شِمْتُ بارقَ ثغْرٍ للدَّمعِ أَضْحى مُفيضا

١٧- ركبتُ منْ خيلِ شَوقي طِرفًا[٤] من الدَّهْرِ رِيضا

١٨- أَرْجُو لصَّحةِ جسْمي طرفًا صحيْحًا مريضا

١٩- فالعظمُ مما أُلاقِي أمْسَى كَسيْرًا مَهيْضا

٢٠- شاهدتُ من برقِ شيْبي عندَ الصَّباحِ وَميضا

٢١- يا ربَّ لُطفاً بعبْدٍ يشكُو زماناً عضُوضا

---

(١) البريض: القليل، التبلّغ بالقليل من العيش؛ ابن منظور، لسان العرب (برض).

(٢) الحرضُ: الذى أذابه الحزن أو العشق؛ ابن منظور، لسان العرب (حرض).

(٣) تؤوض: تعود؛ ابن منظور، لسان العرب (أيض).

(٤) الطِّرف من الخيل: العتيق الكريم، الطويل القوائم والعنق؛ ابن منظور، لسان العرب (طرف).

وقال المدرس:

٢٢- أَوْهى عـمـادِيْ وأَبْقى طرفَ اعـتـمـادي غَـضِـيـضـا
٢٣- وكـمْ عَـوارضُ دهـرٍ زادتْ لـديَّ الـعُـروضـا
٢٤- أَغْـرَتْ عليَّ ذوي الجـهـ ـلِ قَـضّـهُمْ والقَـضِـيـضـا
٢٥- لـمّـا رأَوْنـي أُجَلّـي فـي المـشْكلاتِ الغُـمـوضـا
٢٦- وإن أَتَوا بـمـقـالٍ أظهـرتُ فـيـه الدُّحـوضـا
٢٧- (ق٦٧/ب) حباهُم الدَّهرُ رَفْعًا وسـامَ حَظّـي حَـضِـيـضـا
٢٨- لكـنْ مـنَ اللهِ أَرْجـو نـصـرًا وجـاهًا عَـرِيْـضـا
٢٩- فـاللهُ إن شـاءَ أَضْـرى[1] على الأُسـودِ البَـعُـوضـا
٣٠- وفـضلُهُ فـاضَ حـتّى عمَّ العـبـادَ[2] فُـيـوضـا

(الشيخ عبد الرحمن بن شيخنا شيخ الإسلام العماد الحنفى المذكور فى ترجمة خاصة فى هذا المجموع. هو الشيخ الفاضل جامع أشتات الفضائل، أنشدنى هذه القصيدة الفريدة)[3]، ومن خطه نقلت يوم الجمعة ثامن ذى القعدة الحرام، من شهور سنة سبع عشرة بعد الألف[4]: [الطويل]

١- سـأطمسُ آثـارًا هـوايَ أثارهَـا وأنقضُ مـن ذيـلِ الفُـؤادِ غُبارهـا
٢- لقد آنَ صَحْوي منْ سُلافِ صبابةٍ فقد طالما خامرت جَهلاً خُمارها
٣- هجرتُ الهوى واللهو[5] حتى اشتياقه وطيبَ ليالي الوصل حتى ادّكارهَا
٤- وَعَفَّيْتُ سُبْلَ الهزلِ بالجدّ مُقْلعًا وعـفّتْ مسـرّاتٌ جنيتُ ثمـارَها
٥- أثامٌ كُفيتُ اليومَ بالتركِ شَرَّها لعلّى غدًا فى الحشرِ أُكفى شِرارَها
٦- قطفتُ أزاهيرَ الصَّبابةِ في الصِّبا وقـدْ صـارَ أنْ أشمَّ عـرارهَا
٧- فلو صائداتُ القلبِ أقبلنَ كالمها وقـبّلْنَ رأسـي مـا قـبلتُ مـزارهَا

(١) أضرى: أغرى، وشجّع؛ ابن منظور، لسان العرب (ضرا).
(٢) فى البوريني، الديوان، ٢/٤٧١؛ تراجم الأعيان، ٢/٣٢٢: الأنام.
(٣) فى البوريني، تراجم الأعيان، ١/٣٢٢: غير موجود.
(٤) تخريج القصيدة، وردت فى: البوريني، تراجم الأعيان، ٢/٣٢٢-٣٢٣.
(٥) فى البوريني، تراجم الأعيان، ٢/٣٢٢: والزهر.

٨- ترى شيبتي ما عذرها لشبيبتي ... وقد سبقت قبل الكمال عذارها[١]

٩- وقدْ كنتُ أودعتُ الحجى فاستردَّه ... إلى النَّفْسِ شيبٌ قدْ أعادَ وقارَها

١٠- وكان شبابي شبَّ نارَ صبابتي ... فمُذْ لاحَ نورُ الشَّيْبِ أخْمدَ نارَها

١١- (ق ٧٠/أ) تبسّمَ ثغرُ الشعر فيها تعجُّبًا ... لها إذْ رأى ليلُ السِّبالِ نهارَها

١٢- فما زارَ وكْرَ الشعرِ فيها غُرابُهُ ... ولا دارَ حتى استوطنَ البازُ دارَها

١٣- عسَى الآن عمَّا قد عثرتُ إنابةٌ ... يقيل بها للنفس رَبِّي عِثارَها

١٤- عسى رحمة أو نظرة أو عناية ... يتم سعودي في صعودي منارَها

١٥- عسى نغمة من نُورِ معارفٍ ... تهبُّ فتختارُ الفؤادَ قرارهَا

١٦- ويشرحُ صدري نورُ علم مُقدَّسٍ ... يُريني أسرارَ العُلومِ جهارَها

١٧- وأُمنحُ ألطافًا من الإنْسِ أبْتغي ... خَفاها، ويأبى[٢] الوجدُ إلاّ اشتهارَها

١٨- ويكشفُ عن عينِ البصيرةِ حجَبها ... بأنوارِ عرفان يزيحُ استِتارَها

١٩- فيظهرُ سرُّ الحقيقةِ مُشْرِقًا ... [على][٣] ظُلَمِ الكونِ التي قدْ أنارَها

٢٠- فأحْظَى بحالاتٍ منَ القُرْبِ لم ينلْ ... فتًى باجْتهادٍ فضلَها وفخارَها

٢١- ولطفُ إلهي قطبُ دائرة المُنى ... فإنّ عليه في العطاء[٤] مدارَها

وله أيضًا في المعنى المذكور[٥]: [الكامل]

١- قد شابَ فَودي حين تاب فؤادي ... فكأنّما كانا على ميعادِ

٢- حسنُ الخواتمِ أرْتجى من مُحْسِنٍ ... قَدَّمْنَ[٦] لي قَدَمًا بحسنِ مَبادي

---

(١) في ل: تكرّر هذا البيت بعد البيت رقم (١٠)، وفي البوريني، تراجم الأعيان، ٢/٣٢٣: ورد هذا البيت مرّة واحدة بعد البيت رقم(١٠).

(٢) في البوريني، تراجم الأعيان، ٢/٣٢٣: فيأبى.

(٣) في ل: ساقطة. والمثبت في: البوريني، تراجم الأعيان، ٢/٣٢٣ . وبها يستقيم الوزن.

(٤) في البوريني، تراجم الأعيان، ٢/٣٢٣: الأمور.

(٥) تخريج المقطعة، وردت في: البوريني، تراجم الأعيان، ٢/٣٢٤ ، وكلمة المذكور غير موجودة في تراجم الأعيان.

(٦) في البوريني، تراجم الأعيان، ٢/٣٢٤: قد جاد.

٣- وعماديَ التوحيدُ فهو وسيلتي في نَيْلِ ما أرجوهُ عندَ معادي

٤- إنْ قيلَ أيُّ سفينةٍ تجري بلا مـــاءٍ وليسَ لأهلهـــا من زادِ

٥- قُلْ: رحمةُ الرحمن مَنْ أنا عبدُهُ تسَعُ العبادَ فمَنْ هو ابنُ عمادِ

وكتب الشيخُ عبدُ الرحمن تذكرةً بعدَ مراسلة صدرَتْ منى له لأمرٍ عرض فى الوجود، وهذه صورةُ ما كتبَ: "الحمدُ للّهِ، أدامَ اللهُ تعالى بقاء تلكَ الحضرةِ الفريدةِ الذات، والخلالِ البعيدةِ المثال والمنال، الحميدةِ المقال والفعال، السعيدةِ المبدأ والمآل، لا برحتْ محروسةَ الجنابِ، مأنوسةَ الرِّحابِ بحبورِ حضورِ الأَسْباط، والأحباب بحرمةِ البنى والآلِ والأصحاب. ينْهى العبُد تلكَ الكتابةِ المستطابةِ، ويَسْتَعْفى من يقضى تأخيرَ الإجابةِ على أنَّهُ ما كانَ إلاّ لطولِ التَّفْتيْشِ على (ق٧٠/ب) الترجمةِ بقدرِ الإمكانِ، ومعَ ذلكَ فلَمْ أَجدْها إلاّ فى تهذيب الأسماء[١]، وتاريخ ابن خلكان[٢]. ورأيتُ الثانى قد استوفى مقصودَ الترجمةِ، فلذلكَ خَصَصْتُه بفضل التشرُّفِ بتلك الخدمة المفخّمة، وأمَّا محفوظٌ من تعلمونَ إلى بضع منْ بضاعتكم فقرُه، فإنَّما هو من تلك البحرِ قطرةٌ، ولم أقُلْ ذلك للمبالغة، ولا لرعايةِ الفقرةِ، وأمّا التمتعُ برؤيتكم هذه الليالى الذى هو أكبرُ الآمالِ، وأفخرُ الأحوالِ، فرأينا مِمّا ينغصُّ لذّته، ويكدّرُ صفوتَه مشقةَ سلوكِ هذه الأَوحالِ"[٣].

ولمّا كنتُ بمكّةَ حاجًا فى سنة عشرين بعد الألف من الهجرة النبويّة على صاحبها ألف تحية، أرسلَ إلىَّ الشيخُ عبدُ الرحمن المذكور مكتوبًا[٤] يليقُ به أنْ يكتبَ فى دفاترِ القلوب، فضلاً عن دفاترِ العيون، وأنْ يقالَ لأبناءِ الأدبِ قدْ نشرَ الفاضلُ عبد الرحيم[٥]، وظهرَ درُّهُ المكنونُ، فكتبتُ هنا عبارتهُ، ورقمتُ إشارَتَهُ، كتبَ أولاً: الحمدُ لله، وبعدَ ذلك: سلامٌ بأَرَجِ الثَّناءِ مُعنبرِ الأرجاءِ، ودُعاءٌ أدنى إلى معارجِ القَبولِ وأَرْجَى، وصفاءُ ودٍّ محبٍّ يصدعُ صميمهُ صمُّ الصَّفا، ووفاءُ دمعٍ صَبٍّ جرَى، فقَضى ما وجبَ وما شَفى، أنّى ولا وَفا. نخصُّ بذلك حضرةَ المولى الإمامِ، والأستاذَ الهُمامِ، شيخَ مشايخِ الإسلامِ، العالمَ الذى مشتْ العلماءُ الأعلامُ علم علمهِ، والحاكمَ الذى حسَم مادة ظلامِ الظُّلَمِ ببارقِ

(١) هو كتاب: تهذيب الأسماء واللغات ليحيى بن شرف النووى المتوفى سنة ٦٧٦/١٢٧٧ .

(٢) هو كتاب: وفيات الأعيان فى أنباء أبناء الزمان لأحمد بن محمد المعروف بابن خلكان المتوفى سنة ٦٨١/١٢٨٢ .

(٣) فى البورينى، تراجم الأعيان، ٣١٨/٢ . هذه التذكرة غير موجودة فى ترجمة عبد الرحمن العمادى.

(٤) فى البورينى، تراجم الأعيان، ٣١٨/٢ . هذا المكتوب غير موجود فى ترجمة عبد الرحمن العمادى.

(٥) هو: عبد الرحيم بن على اللخمى، المعروف بالقاضى الفاضل، وزير صلاح الدين الأيوبى، وكاتبه، المتوفى سنة ٥٩٦/١٢٠٠ . ترجمته فى ابن العماد الحنبلى، شذرات الذهب، ٣٢٤/٤، الزركلى، الأعلام، ٣٤٦/٣ .

حُسام حُكْمه، همامُ العلماءِ الذى دامتْ له مُعْضلاتُ العلومِ، وإمامُ الأُدباءِ الذى دنتْ له قطوفُ زهرِ المنثور والمنظومِ، علاَّمةُ العَصْرِ، وأعجوبةُ الدَّهرِ، والصدرُ الذى بمحاصرتهِ ينشرحُ كلُّ صدرٍ، والبحرُ الذى إذا أَملى عليك فرائدَ فوائدِه، فحدِّث عن البحرِ، وبدرُ الفضائل التى ظهرت فلا تخفى على أَئمة لا تعرف البدرَ، أدامَه اللهُ تعالى فارسَ ميدانِ العربيةِ، ولمَّ ببقائهِ شعثَ العلومِ الأَدبيّةِ، وجلَّى بنورِ بدرهِ دُجى غوامضِ المعقولِ والمنقولِ التى أَمْسَت ليالى مشكلاتها بعدَ ظعنهِ، وهى شكولٌ (ق٧١/أ) آمين، ما دامت الأيام، وتجدَّدت المواسم والأعوامِ، وبعد؛

فالمنهى إلى الحفرةِ خطيره العلمِ والعمل، وإلى الذاتِ، ذات الفضائل التى لا تزال تسيرُ بها الرُّكبان، ولم تزلْ، التى وردت مواردَ الصفاء، ومشاهدَ الشفاءِ، وصدرَت رويةً عن مناهلِ الوفاءِ، راويةً عن معاهدِ التُّقى،

أَوَلاَ- عظيمَ الأشواقِ لا تطاقُ، وأليمَ فراقٍ يضيْقُ عنه وسع النطاق: [الطويل]

١- فما فقرُ قَفْرٍ ظلَّ في حرّ حَرَّةٍ ... وقدْ طالَ عهدُ القطرِ في ذلك القطرِ

٢- ولا شوق صبٍّ فيه فارق إلفهُ ... فيشكو الظَّما فوقَ الهجير على الهجرِ

٣- بأكثرَ من فقري إلى ذلك الوَفا ... وأعظُم من شوقي إلى ذلك البدرِ

بحيث تقلّبُ القلبِ فى غلو الشوقِ وغلوائه، وتعجبُ ممّنْ أَحرقَهُ، وهو فيه كيف لم يخش على حَوْبائه[1]، وحكى الجسمَ بالضنَى رقّةَ نسيمِ الصّبا، فصحّ أن يسمى عليلا، وكم قدْ حمله رسالة الشكايةِ ثم تلا الآية: ﴿يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً﴾[2].

وثانيًا- أجملُ التهانى بنيل أكملِ الأَمانى من سعى إلى بيتِ اللهِ مشكور، وزَوْرٍ مقبول، وحجٍّ مبرور، ثم تهنئةُ من فى الركبِ الشَّريف منَ الرِّفاقِ بأعظم الحظِّ، وأبلغِ الإرْفاقِ، فلقد علمتُ لعمرى إنَّهم فى المسيرِ بكم رُحِمُوا، وفى المواقفِ قُبلوا بمنِّكم فأَحرمُوا، وعكفُوا على كعبةِ الفضلِ فأَسْلَموا، ذلك الركنَ والتزمَوا، وما غنيمةُ أهلِ الشامِ إلاّ سلامتكم إذا سلمْتم فكُلُّ الناسِ قَدْ سلموا.

هذا وقدْ وصلت مكاتبةُ المولى إلى العبد، فكأَنَّها أملتها الآمال فوافقت أقصى القصد، وقابلتُها بالتقبيل قبلَ التقليب، والتقطتُ من جمع فرائدها الجوهرَ الفردَ، وقد بشَّرت من سلامتكم بالمطلب الأَسمى، ومن صحتكم بالنِّعمةِ العُظمى، فحمدًا لله على نِعمه، وشكرًا ما أسمعنا من نَعمةٍ إلاّ وهىَ أكبرُ من الأُخرى، فنسألُ اللهَ تعالى أنْ يديمَ

(١) الحوبة: النفس. اللسان (حوب).

(٢) سورة الفرقان: ٢٥/ ٢٧.

المولى لأهل الشّام خُصوصًا. لبيتِ العماد، رُكْنِ الأركان، (ق٧١/ب) ويجعلَهُ محفوظًا مُحترمًا مُطاعًا محكماً أينما كانَ، ولا يحرمنا صدقَ مودَّته التى لا تزالُ تختالُ لنا فى خُلل الوفاء، ولا تُخلى الشّامَ من فضائله التى طالما منحتْ ضعفاءَها موائدَ الشَّفا، آمين.

وفى أوائل سنة تسع عشرة بعد الألف عزل الأمير يوسف[١] بن سيفا ولده الأمير حسين[٢] عن ولاية طرابلس الشام، وما يتبعها من: جبلة[٣]، واللاذقية، وحماة، وحمص، وغير ذلك؛ وذلك أنّ رجلاً روميًّا من نواحى بروسة[٤] يقال له: حسين[٥] باشا قد زاد على المال الذى كان فى التزام الأمير يوسف المذكور زيادة كثيرة تبلغ مائة دينار ذهبًا، فلم يقبل الأمير يوسف الغرامة، ودخل حسين باشا لطرابلس يوم الخميس من أواسط شهر ربيع الأول من السنة المذكورة.

قلتُ: ورد الخبر إلى دمشق فى مكتوب من بعض خدمة العلم الشريف من طرابلس حاصله: أنَّ الأمير يوسف قد ذهب هو وأولاده، وأقاربه، وبنو عمه إلى مدينة عكّار[٦]، وأخلى طرابلس، ولمّا أرسل حسين باشا جماعته إلى نواحى طرابلس أرسل الأمير يوسف إليه: أنَّ مرادنا، أن لا ترسل إلى ناحية عكّار أحدًا، ونحن نقوم بما يقوم مَنْ تُرسله مِنَ المال فى كلِّ شهر، فإنّك إنْ أرسلت أحدًا ربما يعارض بعض أتباعنا فتقع الفتنة بين الأتباع، وتسرى إلى ما بين الأمراء، فلم يجبه حسين باشا إلى ذلك، وأرسل جماعة إلى ناحية عكّار، فوقعت بين الأتباع فتنة أدَّتْ إلى قتال أراقَ دماءً من الجانبين.

---

(١) هو: يوسف بن سيفا، أمير طرابلس الشام، ومؤسس الحكومة السيفيّة فيها، واقتدى به ابنه حسين، وأخوه على وابنه محمد، حارب على بك بن جانبولاذ وفخر الدين المعنى، توفى بعد ١٠٣٢/١٦٢٠، ترجمته فى: البورينى، تراجم الأعيان، (فيينا)، ق١٤٦/أ؛ محمد المحبى، خلاصة الأثر، ٥٠٣/٤؛ نفحة الريحانة، ٥٦/١.

(٢) هو: حسين بن يوسف بن سيفا، ولى طرابلس الشام فى عهد أبيه، ثم الرها، وقدم حلب فقبض عليه واليها محمد قره قاش وقتله خنقاً سنة ١٠٢٦/١٦١٧، وكان بطلاً شجاعاً، كريماً، ترجمته فى: محمد المحبى، خلاصة الأثر، ١٢٠/٢؛ العرضى، معادن الذهب، ص٤٣٨ .

(٣) جبلة: بلدة على شاطىء المتوسط شمال الشام، تتبع محافظة اللاذقية، وتبعد عنها جنوباً ٣٠كم، انظر: ياقوت الحموى، معجم البلدان، ١٠٤/٢ .

(٤) بروسة: هى اليوم بورصة، مدينة فى تركيا إلى الشرق من بحر مرمرة، جنوب استانبول. انظر: النجم الغزى، لطف السمر، ٥٥٧/٢ .

(٥) لعلّه حسين باشا الذى كان حاكماً على الحبشة ثم خرج على الدولة العثمانية، وذهب إلى بلاد قرمان، وعاث فيها فساداً، ثم تحالف مع بعض الخارجين على الدولة إلى أنّ طردهما من الشام الوزير الأعظم مراد باشا سنة ١٠١٧/. ١٦٠٨ انظر: البورينى، تراجم الأعيان، ٢٨٩/٢-٢٩٥ .

(٦) عكّار: بليدة من أعمال طرابلس، ذات أنهار، كانت مقرّ حكومة آل سيفا، وعكّار اليوم قضاء فى شمال لبنان، قاعدته حَلبا، وبليدة عكّار القديمة فى قضاء عكّار بلبنان. انظر: القرمانى، أخبار الدول، ٤٢٣/٣ .

وكتب حسين باشا بما جرى محضرًا، وكتب فيه خطوط القضاة، والمفتية، والمدرسين، والأعيان من أهل طرابلس. وحاصلها: عدوان بنى سيفا، وأتباعهم على جماعة حسين باشا المذكور، وأرسل المحضر المذكور إلى مقرِّ السلطنة (ق٦٨/أ) والسلطان يومئذ حضرة السلطان الأمجد أحمد[١] من آل عثمان أدام الله دولتهم إلى انقضاء الدوران. وسيأتى الكلام بعون الملك العلاّم على ما يحدث بعد ذلك من نتائج المحضر المذكور، والله تعالى هو العالم بخفيّات الأمور.

والذى حدث بعد ذلك أنّ الأمير يوسف بن سيفا كاتب جانب الوزير الأعظم مراد باشا[٢] والتزم المال الذى طلب منه على كثرته، وأدّى بعضه نقدًا معجّلاً، وأدّى ما بقى مؤجلاً. وجاءت الأوامر السلطانية بتقريره فى ولاية طرابلس، وجبلة، واللاذقية، وحماة، وحمص، وشيزر[٣]، وعكّار، وصافيتا[٤]، وحصن الأكراد، والظنية[٥]، وعرقا[٦]، وما يتبع ذلك.

فلما وردت الأوامر بذلك من جانب الوزير المذكور أظهر التوقف فى القبول حسين باشا الرومى[٧]. وقال: أنا أنتظر أمرًا من جانب السلطان أحمد، وفى أثناء ذلك كانت الخدم تظهر للإتيان بعليق الخيل، وكانت جماعة الأمير يوسف بن سيفا تقتل من صدفته من خدم حسين باشا، فلما تكرّر ذلك منهم احتال حسين باشا بأن أظهر بعض خيل معها بعض خدم، نحو العشرة، وأكمن نحو مائتى خيّال، فلمّا استقلّت جماعة ابن سيفا الخيل القليلة برزت إليها لتأخذها، فخرج عليهم الكمين، فقتل من أتباع ابن سيفا

(١) هو: السلطان أحمد بن مراد بن سليم العثمانى، عاش ما بين (٩٩٨/١٥٩٠-١٠٢٦/١٦١٧)، ولى السلطنة وعمره ١٤ عاماً. كان حسن السيرة، معظّماً للعلماء، واصلاً للفقراء، وزر له مراد باشا الذى قضى على ثورة على بك بن جانبولاذ. ترجمته فى:البورينى، تراجم الأعيان،٢٢٣٨؛ القرمانى، أخبار الدول، ٨٣/٣؛ النجم الغزى، لطف السمر، ٢٧٣/١ .

(٢) هو: الوزير الأعظم مراد باشا، تولى الوزارة للسلطان أحمد بن محمد، وأوكل إليه مهمة القضاء على ثورة على بك ابن جانبولاذ وحلفائه فى حلب سنة ١٠١٦/١٦٠٧، توفى سنة ١٠٢٠/١٦١١ . ترجمته فى: محمد المحبى، خلاصة الأثر، ٣٥٥/٤ .

(٣) شيزر: قلعة تشتمل على كورة بالشام قرب المعرّة، بينها وبين حماة يوم، حكمها آل منقذ فى القرنين الخامس والسادس الهجريين، فتحها أبو عبيدة عامر بن الجراح سنة ١٧/ ٦٣٨، انظر: ياقوت الحموى، معجم البلدان، ٣٨٣/٣ .

(٤) صافيتا: كانت مع طرطوس تشكلان قصبتا سهل طرطوس الممتد من جبال النصرية إلى النهر الكبير. انظر: الأب مرتين، تاريخ لبنان، ص، ٤٥ حصن الأكراد: حصن منيع غربى حمص على مسافة ٦١كم، بينها وبين بعلبك، كان فى الأصل برجاً أنشأه أحد امراء الشام، وجعل فيه قوماً من الأكراد طليعة على الفرنج ثم حصنوه. انظر: ياقوت الحموى، معجم البلدان، ٢٦٤/٢ .

(٥) الضنيّة: منطقة فى لبنان تضم الجبال فى شرق مقاطعة الزاوية التى تمتد من نهر البارد إلى نهر قاديشا. انظر: الأب مرتين، تاريخ لبنان، ص٤٥ .

(٦) عرقا: بلدة شرقى طرابلس الشام، وهى آخر عمل دمشق فى سفح جبل، على جبلها قلعة لها. انظر: ياقوت الحموى، معجم البلدان، ١٠٩/٤ .

(٧) هو: حسين باشا بن رستم المعروف بباشا زاده الرومى، ولد فى بلغراد سنة ٩٥٨/ ١٥٥١ أخذ عن جماعة من علماء الديار التركية، وتوفى بمصر سنة ١٠٢٣/ ١٦١٤ ترجمته فى: محمد المحبى، خلاصة الأثر، ٨٩/٢ .

ما يقرب من سبعين رجلاً، وقطعت رؤوسهم، ودخل بها أتباع حسين باشا الرومى إلى طرابلس، وكان يوم دخولهم بها يومًا مشهودًا.

وبعد ذلك كله جاء رجل يقال له: إبراهيم[١] آغا من المقرّبين عند الوزير الأعظم، وأخرج حسين باشا من طرابلس بالحيلة، ولمّا خرج دخلت أتباع ابن سيفا إلى المدينة، وإلى القلعة، ودقت البشائر فى الحال، وضربت الطوبات[٢] الكبيرة، فقال حسين باشا لابراهيم آغا: صنعت الحيلة بى حتى أخرجتنى، وأدخلت جماعة ابن سيفا، فقال له إبراهيم آغا: ما فعلت ذلك إلا صيانة لك (ق٦٨/ب) وحفظًا لرأسك، فإن القوم لو دخلوا عليك إلى المدينة لربما قتلوك، وما كنت تنجو منهم. ولكنّى أخرجتك هكذا، فخذ مالك واذهب بعزمك سليمًا مسلمًا، والمناصب عليك كثيرة، وستأخذ ما تريد. وأسرّ إليه بأمور أوجبت تسليته، وسار إلى جانب الوزير الأعظم فى أوائل جمادى الآخرة من سنة تسع عشرة بعد الألف، وتسلّم ابن سيفا البلاد كلها، وعاثت جماعته فى البلاد بالفساد والظلم، والعناد، والأمر إلى الله رب العباد، والحمد لله وحده.

دخل الوزير الكبير صاحب القدر الحظير أحمد باشا الشهير بحافظ أحمد[٣] باشا الثانى، فإنه تقدَّم فى نواب آل عثمان رجل آخر يقال له: حافظ أحمد باشا إلى دمشق نائبًا بها من جانب السلطان أحمد بن المرحوم المغفور له السلطان سليم ابن المرحوم السلطان سليمان[٤]، فاتح بلاد العرب، وهو الذى بنى السليمية السلطانية بالصالحية، وعمرّ مزار الشيخ محيى الدين بن عربى[٥] رضى الله عنه، وكان دخوله إليها يوم الاثنين

(١) لم أعثر له على ترجمة.

(٢) الطوبة: كلمة تركية بمعنى مدفع. انظر: ابن جمعة المقار، ولاة دمشق، ص١١ .

(٣) هو: أحمد باشا الوزير، لقب بالحافظ لحفظه القرآن الكريم، تربى فى استانبول، فنبغ أميرًا، ثم صار وزيرًا. تقلّب فى الولايات إلى أن نال الوزارة العظمى، تولى مصر فأحسن سياستها، ثم صار وزيرًا أعظم. انظر: البورينى، تراجم الأعيان، ١٩٨/١ . وأحمد باشا الحافظ الآخر عين واليًا على دمشق سنة ١٠١٨/١٦٠٩-١٠٢٤/١٦١٥ . اتصل به الحسن البورينى ومدحه، وحارب فخر الدين المعنى، والصفويين وغيرهم ممن ثاروا على الدولة، وكان فى أول حكمه عادلاً ثم تغيرت معاملته للناس. وتولى الوزارة العظمى، فثار عليه العسكر وقتله سنة ١٠٤١/١٦٣١ . انظر ترجمته فى: البورينى، تراجم الأعيان، ٢٠١/١؛ الخالدى، تاريخ الأمير فخر الدين، ص٧-٤١؛ محمد المحبى، خلاصة الأثر، ٣٨٠/١ .

(٤) فى البورينى، تراجم الأعيان، ٢١٤/١: السلطان أحمد بن المرحوم المغفور له الغازى المجاهد السلطان محمد بن محمد السلطان مراد بن المرحوم السلطان سليم بن المرحوم السلطان سليمان بن المرحوم السلطان سليم "فاتح بلاد العرب". وهو أصوب.

(٥) هو: محمد بن على بن محمد الطائى، أبو عبد الله، محيى الدين بن عربى، عاش ما بين (٥٦٠/١١٦٤-٦٣٨/١٢٤٠)، أصله من مرسيه بالأندلس، ورحل إلى المشرق، وهو من كبار المتصوفة، وله مؤلفات كثيرة، واختلف الدارسون حول معتقده. ترجمته فى: أبو شامة المقدسى، الذيل، ص٨٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١٦٧/١٣؛ الذهبى، الأعلام، ٤٣٢/٢ .

حادى عشر ربيع الثانى من شهور سنة ثمانى عشرة بعد الألف من الهجرة النبوية، وطلع العسكر بتمامه إلى استقباله، وكذلك قاضى القضاة بدمشق السيد محمد بن السيد محمد الحميدى[١]، وطلع العلماء للسلام عليه فى قرية حرستا[٢] فرادى ومجتمعين.

وكذلك طلع الشيخ محمد بن الشيخ سعد الدين الجباوى[٣] للسلام عليه فى القرية المذكورة، ولم يكن من عادته الطلوع إلى لقاءِ الحكام، لكنّ هذا الوزير لما وصل إلى قرية عذرا[٤] أرسل بعض مكاتيب إلى أكابر الشام، ومن جملتهم الشيخ محمد السعدى المذكور، وكنت عازمًا على أن لا أطلع إلى القرية للقائه، ولكن جاءنى منه مكتوب يتضمن السلام فى عرض[٥] المحبة، والوداد، فطلعت إليه، فقام إلىّ ملاقيًا، وصافحته فى أثناء البساط عندما قام للقاء، اظهارًا للانبساط (ق٦٩/أ) وجلست عنده ساعة، وجدته[٦] متيقّظًا، وبالصواب متلفّظًا، ووجدته عارفاً بشىء من أشعار التركية والفارسية، وبشىء من علم العروض، وببعض من علوم[٧] العربية إلى غير ذلك من الفضائل والفواضل.

وسألنى عن بعض مهمّات بلاد الشام، ورأيته متطلّعًا إلى إنصاف الرعية.

ولما دخل طلع إليه كلٌّ من فى دمشق، وأشعلوا له الأسواق؛ الشموع والسُّرُج، وكان يسلِّم يمينًا وشمالاً، ولقد رمقنى فى جامع[٨] القصب المنسوب إلى ابن منجك[٩]، فنظر[١٠] إلىّ وتبسّم فى وجهى.

(١) لم أعثر له على ترجمة.

(٢) حرستا: قرية كبيرة عامرة وسط بساتين دمشق على طريق حمص. انظر: ياقوت الحموى، معجم البلدان، ٢٤١/٢ .

(٣) هو: محمد بن محمد بن حسين، شمس الدين القبيبانى، الشافعى، الشهير بابن الشيخ سعد الدين الجباوى، تولى التدريس بالجامع الأموى، وكان من أفراد الدهر، ومحاسن العصر، توفى ١٠٢١/١٦١١، ترجمته فى: البورينى، تراجم الأعيان، ٣٦٥/٢؛ النجم الغزى، لطف السمر، ٥٦/١؛ محمد المحبى، خلاصة الأثر، ١٦٠/٤ .

(٤) عذرا: قرية بغوطة دمشق الشرقية، ينسب إليها مرج عذرا، وهى اليوم عدرا، وتتبع دوما على مسافة ١٢كم من الشرق، و٢٠كم عن دمشق. انظر: ياقوت الحموى، معجم البلدان، ٩١/٤؛ ابن طولون الصالحى، إعلام الورى،ص٨٤ .

(٥) فى البورينى، تراجم الأعيان، ٢١٥/١: وعرض.

(٦) فى البورينى، تراجم الأعيان، ٢١٥/١: فوجدته.

(٧) فى البورينى، تراجم الأعيان، ٢١٥/١: وبشىء من علم.

(٨) فى البورينى، تراجم الأعيان، ٢١٥/١: مسجد.

(٩) جامع القصب: يسمى جامع ابن منجك، يقع على جسر الفجل، آخر ميدان الحصى، قبلىّ دمشق، أنشأه الأمير إبراهيم بن سيف الدين منجك سنة ٨٠٠/١٣٩٧، ولا يزال عامرًا. انظر: النعيمى، الدارس، ٤٤٤/٢؛ ابن طولون الصالحى، القلائد الجوهرية، ١٦٩/١؛ محمد كرد على، خطط الشام، ٦٣/٦ .

(١٠) فى البورينى، تراجم الأعيان، ٢١٥/١: ونظر.

ولما اجتمعت به فى دار الإمارة بدمشق ذكّرنى بالرؤية المذكورة، والتبسّم المشار إليه، فدلّ ذلك على تيقّظه، وتفطّنه، وها هو الآن جالس فى دمشق، والمطلوب من الله[١] أنّ يوفقه للخير، ويدفع عنه كل ضير. وقد نظمت له تاريخين أحدهما، قولى[٢]:

[الطويل]

١- بعدلٍ وفضلٍ قدْ بلغتَ مَرامَكا ... وأصبحَ هذا الدَّهرُ ـ طوعًا ـ غُلامكا

٢- ففعلُك محمودٌ واسمُكَ أحمدٌ ... فأعطاكَ مولاكَ المنى، وأدامَكا

٣- ومذْ شمتَ ثغرَ الشامِ يضحكُ فرحةً ... لإقْبالكم أرّختُ: نَوَّرتَ شامَكا

فقولنا: «نورتَ شامكا» بحساب الجمل عددُه ألف وثمانى عشرة، وهو عام دخول الوزير إلى دمشق. وفى لفظ[٣] شامكا لطيفة مبنية على لغة[٤] الفارسية، فذلك أنّ لفظة شام فى لغة الفرس بمعنى الظلمة، وهو أيضًا اسم لبلاد الشام[٥]، فَفَهِمَ ذلك، ونبّه على المعنيين عند قراءة ذلك.

والتاريخ الثانى هو قولى، ناظمًا مدح الوزير المذكور[٦]: [الطويل]

١- صفاءٌ وإقبالٌ وعزٌّ ودولةٌ ... وعدلٌ يصونُ الكائناتِ ويحْميها

٢- بإقبالِ مَنْ قدْ صارَ للملكِ حافظًا ... ومن بلغَ الآمالَ أقْصَى أمانيها

٣ - أتى لدمشقَ الشامِ والدَّهرُ جائرٌ ... فبالبشر حيَّاها، وبالودِ يُحْييها

٤- أتى نَحْوهَا غيثًا وغوثًا، لأجل ذا ... به اخضَرَّ واديها وعمَّر ناديها

٥- وزيرٌ لسلطانِ الأقاليم مَنْ علا ... إلى أن تدانى عنه أعلى معاليها

٦- غدا مالكاً للحمدِ إذ هو أحمدُ ... فقُلْ في فعالٍ[٧] يبْتَديها ويُبْديها

٧- وقد سعدت منه دمشقُ وأهْلُها ... فأرّخْتُهُ: بشِّرْ دمشقَ كأهْليها

(١) فى البورينى، تراجم الأعيان، ٢١٥/١: الله تعالى.

(٢) تخريج المقطعة، وردت فى:

- البورينى، الديوان، ٤٨٤/٢ .
- البورينى، تراجم الأعيان، ٢١٥/١ .

(٣) فى البورينى، تراجم الأعيان، ٢١٥/١: نقط.

(٤) فى البورينى، تراجم الأعيان، ٢١٥/١: اللغة.

(٥) فى البورينى، تراجم الأعيان، ٢١٦/١: وهى أيضًا اسم بلاد.

(٦) تخريج القصيدة، وردت فى:

- البورينى، الديوان، ٥٢١/٢ .
- البورينى، تراجم الأعيان، ٢١٦/١ . وقدّم لها كما فى: ل.

(٧) فى البورينى، تراجم الأعيان، ٢١٦/١: معالٍ.

(ق٦٩/ب) وذلك أنّ لفظة: "بشَّر دمشق كأهليها" عددُهُ بحساب الجمّل ألف وثمانى عشرة، وهو موافق لعام دخوله إلى دمشق.[١] ومهما صدر منه من الأفعال، والأقوال ممّا يكتب فى التاريخ رقمناه[١].

وفى يوم الأربعاء ثامن عشر رمضان من شهور سنة عشرين بعد الألف، دخل الوزير الحافظ المذكور آنفًا إلى دمشق بموكب عظيم، وركب فى خدمته العسكر الشامى، ولبس أطلس [٢]أبيض فيه[٢] فروة سمّور عظيمة القيمة، وأمامه سبعة خبب[٣] عليها سروج من الذهب المرصّع بالجواهر النفيسة، وكان ضعيف الجسد بالحمّى، وكان قدومه من مدينة آمد[٤]، من المعسكر الوزيرى أعنى الوزير الأعظم المرحوم مراد باشا[٥].

[أحمد بن شاهين][٦]

كتبَ إلىّ ولدى العزيز، وكهفى الحريز، مَنْ فهمه الذهبُ الخالصُ الإبريز، وتمييزُه فاقَ كلَّ تمييز، الأسعدُ الأمجدُ، الفاضلُ الكاملُ، أحمدُ المتغنَّى عن الايضاح والتبيين، الشهيرُ فى دمشق بابنِ شاهين، وهو رومىُّ النَّجارِ، وإنْ كان عربىُّ المولدِ والدارِ، قرأَ علىَّ، ورغبَ إلىَّ، حتى صارَ فارسَ العربية، وحاملَ لواءِ البلاغةِ فى المملكة الدِّمشقيّة، والعجبُ أنَّهُ عسكرىٌّ، وابن عسكرىّ، بل أبوهُ واسطةُ عقد العساكر السلطانية فى البلاد الشامية، فتركَ ذلكَ الطريقِ، ورَغبَ فى خدمة العِلْمِ وأهلهِ على التّحقيق، ولزمنى مدَّةً مديدةً، وطلبَ العلمَ عندى فى أعوامٍ عديدةٍ، ولمَّا اشتهرَ صيتُهُ، وأشكلَ على كثيرٍ فى العلم تثبيته، أرادَ إثباتَ فضلهِ عندَ أهلِه.

(١-١) فى البورينى، تراجم الأعيان، ٢١٦/١: غير موجود.

(٢-٢) فى البورينى، تراجم الأعيان، ٢١٦/١: غير موجود.

(٣) فى البورينى، تراجم الأعيان، ٢١٦/١: جنب.

(٤) آمد: أعظم مدن ديار بكر وأجلّها قدرًا، بلد قديم حصين، على نهر دجلة، فيها كثير من العيون والبساتين. انظر: ياقوت الحموى، معجم البلدان، ٥٦/١ .

(٥) سبقت ترجمته، ص١٦ .

(٦) فى ل: غير موجود، والمثبت وضعته لتسهيل الامتداء إلى ترجمة أحمد بن شاهين فى المخطوطة. وفى البورينى، تراجم الأعيان، ١٣٩/١-, ١٥٥ توجد ترجمة لابن شاهين، كثير مما ورد فى هذه الكراسة موافق لها. لكن ترتيب الجمل مختلف عمّا ورد فى: ل.

فكتب إليَّ هذه القصيدة الفريدة فى شعبان من شهور سنة تسع عشرة بعد الألف من هجرة خيرِ الأنامِ، عليه من الله التحيّةُ والسلام، ونقلتها من خَطِّه المزيّنِ بضَبْطِه[١]:

[الكامل]

١- قِفْ بى فلى إثَر الحُدوجِ[٢] حنينُ ... ومِنَ الصبابةِ ظاهرٌ وكمينُ

٢- قِفْ بى لأذرى الدمعَ ثَمَّ فإنه ... دَيْنٌ علىَّ لهم وعندىَ دِينُ

٣- ظعنوا وقلبى حيثُ سار فريقُهم ... متعلّلٌ بالعَوْدِ وهو شَطُونُ[٣]

٤- رام التفاتًا للمعالم ساهيًا ... وتلفّتُ القلبِ الظعين جنونُ

٥- وسألتُ عينىَّ البكاء ففاضتا ... أسَفًا، ويفقد دمعَه المحزونُ

٦- للقلب عذرٌ فى فراق ضلوعه ... ولفقدِها الدمعَ الشؤونُ شؤونُ

٧- أأضنُّ بالدمع اختيارًا بعدهم ... إني على كرمي إذًا لَضَنينُ

٨- أأعير لحظَ العين بهجةَ منظرٍ ... من بعدهم إنى إذًا لخؤون

٩- كمْ من ليالٍ ما ذممنا عهدَها ... مُذْ بِنَّ إلا أنهنَّ شجُونُ

١٠- أهلَ اللوى: ما[٤] هكذا شرعُ الهوى ... تُلْوى الديونُ، ويَغلَقُ المرهونُ

١١- رُدّوا فؤادي أو خذوه بسائري ... يا ظاعنين، وكيف شئتم كونوا

١٢- كلَّفتمونى في هواكم خطةً ... من دونها صَعْبُ الهوانِ يَهونُ

١٣- وتركتمونى منذُ بِنْتُمْ مفردًا ... لا يطّبيني في الأنام خدينُ

١٤- أوَ ما كفاكم شافعًا فىَّ الصِّبَا ... وصبابتي والمجدُ والعشرينُ

١٥- قد كنتُ أحتسبُ الولوعَ معزّةً ... واليومَ سيّانِ الهوى والهونُ

١٦- إمّا تولّت راحتي من راحتي ... فلطالمَا سهُلت عليَّ حُزُونُ

١٧- ولربَّ عَيْشٍ مرَّ لى حلوِ الجَنا ... بظباءِ وَجْرَة، والشجونُ فنونُ

---

(١) تخريج القصيدة، وردت فى: البورينى، تراجم الأعيان، ١/١٤٠-١٤٤ .

(٢) الحدوج: مراكب النساء تشبه الهوادج؛ ابن منظور، لسان العرب (حدج).

(٣) الشطون: البعيد؛ ابن منظور، لسان العرب (شطن).

(٤) فى البورينى، تراجم الأعيان، ١/١٤١: أو، تحريف.

١٨- حيث الشبابُ يرفُّ يانعُ غصنِه وثمـــارهُ من عـــاذليـــه ظنونُ

١٩- حيثُ الربيعُ ضواحكٌ أزهارُه والمـاء مـصـقـولُ الأديم مَـعِـينُ

٢٠- حيثُ الوجوهُ الغرُّ قنَّعها الحيا والبِشرُ فوق جبينها مقرونُ

٢١- يَسْبحْنَ في قطع الرياض رواتعًا إنّ الجنان لهنّ حـــورٌ عِـــيْنُ

٢٢- ينظمن لي عقد الهوى في بارقٍ وكـــــأنّهن اللؤلؤُ المكنُونُ

٢٣- الســافـرات كـأنهنَّ كـواكبٌ والمـائسـات كـأنهنَّ غُـصُـونُ

٢٤- فيهن حاليةُ الشّوى حسّانَةٌ والحسنُ يرفع شأنه التحسينُ

٢٥- تَزْهُو على أترابها بي مثلما تزهو على كُلِّ القُـرى بُورينُ[١]

٢٦- بأبي الضياءِ[٢] وبدرِ دين محمّدٍ حَسَنٌ لهُ سعدُ السُّعودِ قرينُ

٢٧- مـاذا أقـولُ بمن به وبعلمـه قـد ضـاءت الدنيـا وجلّ الدّينُ

٢٨- فى الغيث شبهٌ من علومك، والذي تَرضـاه أنَّ البحـرَ فيك كـمـينُ

٢٩- لك في المحافلِ جرأةٌ أسديةٌ ولسانُك العَضْبُ الصقيلُ سَنِينُ[٣]

٣٠- لك في المحافلِ مَنْطقٌ يشفي الجوى مِن بعْضِهِ التسهيلُ والتبيينُ

٣١- لكَ في القلوبِ محبةٌ وَمَعَزَّةٌ ومَـوَدَّةٌ، فـزوالُها مـأمُـونُ

٣٢- لكَ ما تُحِبُّ وترتضيه، فكُنْ كما طلبتْ مُناك، لكَ الإلهُ مُـعـينُ

٣٣- كلُّ المعـارفِ زينةٌ لمحلِّها إلاّ عُـلاكَ تَصـوغُـهـا وتَزينُ

٣٤- أدَبٌ يروقُكَ منظرًا بل إنّه بحـرٌ يشوقُكَ فُلْكهُ المشحُونُ

٣٥- وإذا طما بحرُ العلوم بصدره فـإذا لـه الكتبُ العظامُ سَـفـينُ

٣٦- وإذا تداولَ مبحثًا في مجلسٍ فـهناك ركنٌ للعلوم مـتـينُ

٣٧- وإذا امتطى قلمًا يداه فبالحرى أن تستمدَّ له السوادَ عيونُ

٣٨- وإذا جرى طَلْقًا بمضمارِ العُلا فهو الجوادُ وسَبْقُه مضمونُ

---

(١) بلدة إلى الجنوب من نابلس بفلسطين، على مسافة ١٠كم منها. انظر: محمد شراب، معجم البلدان، ص١٧٢ .

(٢) كنية المؤلف الحسن البورينى، وبدر الدين: لقبه.

(٣) العضبُ:القاطع. الصقيل: المجلوّ، المشحوذ؛ ابن منظور، لسان العرب (عضب، صقل).

٣٩- أنتَ الذي شَغَفَ البراعةَ يَافعًا وصبا إليه العلم وهو جنينُ
٤٠- جسمي بقيْدِ الفضل منك مُقَيّدٌ والقلبُ مني في ذَراك رَهينُ
٤١- ولئن صنعتُ بروضِ فضلك يانعًا غرستَهُ بالإحسان منك يمينُ
٤٢- فمُذ انتسبتُ إلى عُلاك تيقّنتْ نفسي بأنّك للجميل ضمينُ
٤٣- وإليكها عذراءَ تَخْطِر عزّةً ولها إلى عالي حماك ركُونُ
٤٤- سحبت على سَحْبانَ ذَيلَ فصاحةٍ فانصاع ينزق[١] تارةً ويلينُ
٤٥- صدحتْ بها وُرْقُ البيان يزينُها طوقٌ من المعنى عليه فنونُ
٤٦- سقَيْتُها من ماءِ شَرْخ شبيبتي فلذا الحسودُ بحسنها مفتونُ
٤٧- وكسوتُها ريْطَ الأزاهر غبَّ ما جادته ناضرة القطار هتونُ[٢]
٤٨- وملأتُها حِكَمًا فأصبحَ عصرُها وبه أبُقْراطٌ وأفلاطونُ
٤٩- سايرتُ فيها فكرتي فكأنّما تسعى إليَّ ببنتها الزرجونُ[٣]
٥٠ - لا بَدْعَ أنْ نطقتْ بفضلك أيها الشيخُ الرئيسُ فإنّها القانونُ[٤]
٥١ - أو حلّقتْ نحو النجومِ تصيدها مدحًا إليك فوالدي شاهينُ
٥٢ - هي معجزٌ من أحمدٍ وورُودُها من أصْل مصدرها الجميل مبينُ
٥٣- لو أنَّ هاروتًا رأى نفثاتِها لقضى لها بالسَّبق حيث تكونُ
٥٤- ولو أنّ بشّارًا تكلّف قولةً منها لعاد وإنّه لغبينُ
٥٥- من كلّ بيتٍ لو تدفّق طبعُه ماءً لغصَّ به الفضاء البِينُ
٥٦- هي قطرةٌ من بحرِ فضلك سيدي ولها بتأميل القبولِ يقينُ
٥٧- هي همّةٌ صقلتْ سعودُك متنها عزمًا كما شحذ الحسامَ قُيُونُ[٥]
٥٨- فلأَفْخَرَنَّ وألْهجنَّ لسيّدي وحقوقُ مثلي في الكرام دُيونُ
٥٩- لا زلتَ صدرَ الشامِ دعوة منصفٍ تشجي عِداك، ومَنْ شناك فدوُن
٦٠- ما دامت الأملاك تدعو بالبقا ويؤمُّها بدعائه جبرينُ[٦]

(١) النزق: الخفّة والطيش فى جهل وحمق؛ ابن منظور، لسان العرب (نزق).
(٢) الريطة: الثوب اللين الدقيق، كله نسج واحد. هتون: تنزل المطر؛ ابن منظور، لسان العرب (ريط. هتن).
(٣) الزرجون: الخمر، وهو فارسى معرّب؛ ابن منظور، لسان العرب (زرجن).
(٤) ابن سينا، وكتابه القانون.
(٥) القين: الحداد، والصانع؛ ابن منظور، لسان العرب (قين).
(٦) يريد : جبريل.

قلتُ: قد أنشدنى هذه القصيدة الفريدة، فحكمَ الأدباءُ قاطبةً بأنَّ فكرتَه مجيدةً، وجعلوا بروزَها من طبعهِ المستقيم، وفكرهِ السليم، وذهنِه القويم، من أعظم البراهين على قدرة الملك العليم وذلك؛ لأنّ سِنَّهُ ما جاوزت العشرين، وطريقته ما تبعت فى صيد المعانى أباهُ شاهين؛ لأنّ أباه عسكرىّ الطريق، جندى الأسلوب على التحقيق. وقد تربى عنده من يوم أن مهد له مهدَهُ، إلى أن أثبت بالفضل مجدَهُ، فكان كمن جمع بين الضدَّين، وسلكَ فى طريقين متباينين، غير أنّ الطبع إذا جُبِلَ لا تغير جبلّتُهُ، ولا تحوّل لطريقته.

ولعمرى لقد نبغَ غُصنًا رطيبًا، ونشأ للفضل نسيبًا، وألَّف مدحًا فى النظم ونسيبًا، وأغربَ إذ أَعْربَ، وأنشأَ وأنشدَ، وأفادَ فأجادَ، وبيَّنَ إذْ عَيّن.

ومدح فى التاريخ المرقوم[١] حضرةَ شيخ الإسلامِ مُفتى جميعَ الأنامِ، العالمَ العاملَ، صاحبَ الفضلِ، الوافرَ الشاملَ، حضرةَ صنعَ اللهِ أفندى[٢] مفتى السلطنة بقصيدة بعيدة المنال، بديعة المقال، مطلعها: [الكامل]

حيٌّ المنازلَ بالنّقا فَزَرُودِ فالرَّقْمتينِ فعهدِنا المعهُودِ

ومدح فى ذلك الوقت أيضًا (قاضى دمشق) نوح[٣] أفندى بن المرحوم قاضى العساكر أحمد أفندى الأنصارى الشهير بابن روح الله[٤] بقصيدة نادرة فى بابها، مفردة بين أترابها، ومطلعها: [الكامل]

عَتَبَتْ عليَّ فلذّ ليَ العتبُ خودٌ لديَّ عذابُها عَذْبُ

ومدح المخدومَ الأمجدَ مولانا درويش محمد[٥] بن صنع الله أفندى الممدوح المذكور سابقًا، بقصيدة، مطلعها: [المنسرح]

أقولُ أوّهْ، وتارةً آها تغنّيًا في بديع ذِكْراها

(١) فى البورينى، تراجم الأعيان، ١/١٤٤: المذكور.

(٢) هو: صنع الله بن جعفر الرومى، شيخ الإسلام، ومفتى الدولة العثمانية، كان عالمًا بالفقه والأصول، درّس باستانبول وتولى عدة مناصب بالقضاء. توفى سنة ١٠٢١/١٦١٢ . ترجمته فى: النجم الغزى، لطف السمر، ٢/٤٧٧؛ محمد المحبى، خلاصة الأثر، ٢/١٤٢ .

(٣) فى البورينى، تراجم الأعيان، ١/١٤٥: قاضى قضاة دمشق حضرة نوح. وهو: نوح أفندى بن أحمد بن روح الله الأنصارى، تولى قضاء دمشق سنة ١٠١٩/١٦١٠-١٠٢٠/١٦١١ . انظر: ابن جمعة المقار، الباشات، ص٢٩.

(٤) فى البورينى، تراجم الأعيان، ١/١٤٥: الله تعالى.

(٥) لم أعثر على ترجمة له.

[1]قلتُ: ومدحُه للمولى صنع الله أفندى المذكور كان بدمشق المحروسة، أدام الله منازلها المأنوسة، حيث قدومه إليها من دار السلطنة الأحمدية. وكان قد وفد إليها ناوياً الحج إلى بيت الله الحرام، وزيارة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام.

وكان نوح أفندى قد ورد صحبته إلى دمشق قاضيًا بها، وله صهارة مع شيخ الإسلام المفتى المذكور؛ لأنه تزوَّج بنته، فأتى معه لتجهيز مهمّات الحج بدمشق، وورد معه ابنه الممدوح المذكور. وقد اتصل المادح أحمد جلبى المذكور بالمولى المفتى المذكور بدمشق، وصار تلميذًا له، وملازمًا على قاعدة علماء الروم فى دولة بنى عثمان.

وكان قدومه إلى دمشق فى غرّة شهر رمضان يوم الأربعاء من سنة تسع عشرة بعد الألف من هجرة خير الأنام عليه من الله الصلاة والسلام[1].

قلت: ولما سمع بالقصيدة الأحمدية المرقومة فى هذه الصحيفة السنية ولدُنا الماجدُ حاملُ لواءِ الفضائلِ والمحامدِ، الأصيلُ العريقُ، صاحبُ العهدِ الوثيق، الشيخُ يوسف بن الشيخ الذكىّ الأديب الأريب، الشيخ أبى الفتح بن المرحوم العارف، صاحب العوارف والمعارف، المشهور المذكور، الذى انتشر فضله فى كل (ق٧٤/أ) منشور، الشيخ منصور الشهير بخطيب السقيفة[2]، رحم الله روحه، وأجزل من نعيم الجنان فتوحه، ثارت همَّتُه السَّنية، ونشأت عرفته العلية، وظهرت لنا محبَّتُهُ، وبسقت فى الأُصولِ دوحتُه، فقالَ يمدحنا بهذه القصيدة الفريدة، وأنشدها لنا بين إخواننا من الفضلاء، كل له أوصاف حميدة،

ولقد نحا نحو المهيار[3] فى إبداء هذه الأشعار، وأجاد فى ما أفاد[4]:

[المنسرح]

١- سقتكِ وهنًا يا دارهَا الدِّيَمُ وجادَ مغناكِ الوابلُ الرَّدِمُ[5]

(١-١) انظر: البورينى، تراجم الأعيان، ١٤٥/١ . ويوجد اختلاف كبير فى الألفاظ لكنّ المعنى واحد.

(٢) سبقت ترجمته ص١٦ .

(٣) هو: مهيار بن مرزويه، شاعر عباسى، من أصل فارسى، تشيّع، وغلا فى تشيّعه، توفى سنة ١٠٣٧/٤٢٨ . ترجمته فى ابن العماد الحنبلى، شذرات الذهب، ٢٤٢/٣؛ الزركلى، الأعلام، ٣١٧/٧ .

(٤) تخريج القصيدة، وردت فى:

● محمد المحبى، خلاصة الأثر، ٤٩٥/٤-٤٩٧ . وقدّم لها بقوله: "ومن شعره قوله ايضًا من قصيدة طويلة، مطلعها" . وقد أورد الأبيات ١-٤٣ فقط.

(٥) الوابل: المطر الشديد الضخم القطر. الرذم: القطر، السيلان، رذم الشىء: سال وهو ممتلئ؛ ابن منظور، لسان العرب (وبل، رذم).

٢- ولا أغـبَّـتكَ كُلُّ غـادية وطفـاءَ[١] ينهـالُ غـيـمُـهـا الأَكمُ
٣- بخلفها فوق جلهتيك[٢] من الـ خـصب ربيع بالنور مـبـتـسمُ
٤- حتّى نراها تختالُ في حبر دون حَـلاها مـا نَمْنَمَ الرُّقَمُ
٥- كم مرّ لي فيك من بلهنية[٣] وآنسـات الظبـاء لي خـدمُ
٦- ومن هنات بالرقمتين[٤] وفي التـ ـرب شـفـا، وفي الصِّبـا سـقمُ
٧- كـانتْ وريّا دارين فـغـمـتـهـا بل أينَ منهـا دارين واللُّطَمُ[٥]
٨- وبانَ أَحـقـافُـهـا لنا علمٌ واليـومَ لا بانُـهـا ولا الـعَلمُ
٩- خَطفةُ برقٍ طارَتْ شرارَتُها على فُـؤادي فكلُّه ضَـرِمُ
١٠- آهٍ، لهـا والوفـا يغـدر بي وآهٍ ذي الحب في الهـوى ذِمَمُ
١١- من فلتاتٍ قضيتُها خُلُسًا وساعـفـتنيَ[٦] أيامـهـا الـقِـدَمُ
١٢- لِلّهِ أيـامنـا بذي سَـلَـمٍ[٧] مـرَّت سـريعـا كـأنَّـهـا حلمُ
١٣- أيام واكـبت كلَّ ذي هيَفٍ كـالبـدرِ ينزاحُ دونَهُ الظُّلَمُ
١٤- حيث تفوز الحسان باسمةً والشـملُ بالغـانيـات منْتَظِمُ
١٥- نصلتُ منها[٨] ومئزري ـ علم اللّـ ـهُ ـ بريءٌ والطَّرفُ مُـتَّـهـمُ

(١) الغادية: السحابة. الوطفاء: الممطرة كثيرة، الماء طال، مطرها أو قصر؛ ابن منظور، لسان العرب (غدا، وطف).
(٢) الجلهة: فم الوادى، وجانبه؛ ابن منظور، لسان العرب (جله).
(٣) البُلهنية: سَعَةُ العيش؛ ابن منظور، لسان العرب (بلهن).
(٤) الرّقمتان: قريتان بين البصرة والنباج بعد ماوية تلقاء البصرة، وهما على شفير الوادى، وهما منزل مالك ابن الريب المازنى، وقيل: روضتان بناحية الصمّان. انظر: ياقوت الحموى، معجم البلدان، ٣/٥٨ .
(٥) دارين: فرضة بالبحرين يجلب إليها المسك من الهند. وقيل: صفة أوّال أشهر مدن البحرين. انظر: ياقوت الحموى، معجم البلدان، ٢/٤٣٢ . اللّطيم: المسك، سوق العطّارين، وعاء المسك؛ ابن منظور، لسان العرب (لطم).
(٦) فى المحبى، خلاصة الأثر، ٤/٤٩٦: وسارقتنى.
(٧) ذو سلم: واد فى أرض بنى البكاء على طريق البصرة إلى مكة، وهو فى الأصل شجر يدبغ بورقه ، سمى به الموضع، وقد أكثر الشعراء من ذكره. انظر: ياقوت الحموى، معجم البلدان، ٣/٢٤٠ .
(٨) فى محمد المحبى، خلاصة الأثر، ٤/٤٩٦: منه.

١٦- يا مَن رأى البرقَ فوق كاظمة ... يخضب من كفِّ لَيْلهِ العَنمُ[١]

١٧- يبسم للأرض وهي عابسة ... جذوة نار خلالها فحمُ

١٨- (ق ٧٤/ب) قامت فتاة في الحي مقبسة ... نارًا من الومض[٢] مالها ضَرِمُ

١٩- ضلّ ابن ليلٍ في الركب يخدعه ... يرشده خلق والهوى أُممُ

٢٠- ويلاه مالي إنْ شمتُ بارقةً ... ظلّتْ زفيرى بالنارِ تضّطرمُ

٢١- وإن سَرت من سقط اللّوى[٣] سحرًا ... نسيمهُ هبَّ في الحشا ألمُ

٢٢- حتّام هذا لهفي[٤] وكلُّ هوى ... على صروف الزَّمانِ ينصرمُ

٢٣- يا بانةَ الواديين من إضَم[٥] ... سُقيتِ غيثاً ما أضمرت[٦] إضَمُ

٢٤- إيهٍ ويا برقَ هاتِ عن [نفَر][٧] ... أين استقلّت[٨] ظباؤها الجثمُ

٢٥- هلْ عهدُ لمياءَ بالعقيق على ... ما كانَ أمْ قد أحاله القِدَمُ

٢٦- وهلْ لَلَيْلاتنا على سلماتِ ... الجَزْعِ عودٌ أم صوَّحَ السّلمُ

٢٧- وهلْ ظباءُ النّقا بوجرةَ أمْ ... طارت بهنَّ الوخّادةُ الرُّسُمُ

٢٨- يا خابَ سعيُ الوشاةِ كيفَ سعَوا ... ما بينَنا، لا مشتْ بهم قَدَمُ

٢٩- باتوا وفيهمُ هيفاء مترفة الـ ... جسم زهَاها العفافُ والكرَمُ

٣٠- مصغيّة الحجل والسوار على ... أنّ الوشاحين فيهما نغمُ

٣١- قد نشأت والغرام يكنفُها ... وأرضعتها في حِجْرِها النّعَمُ

---

(١) كاظمة: موضع، كاظمة جوّ: على سيف البحر فى طريق البحرين من البصرة، وفيها آبار كثيرة، وقد أكثر الشعراء من ذكرها. انظر: ياقوت الحموى، معجم البلدان، ٤٣١/٤ . العنم: شجر لين الأغصان يستاك به، وقيل له نَورٌ أحمر تشبّه به الأصابع المخضوبة؛ ابن منظور، لسان العرب (عنم).

(٢) فى محمد المحبى، خلاصة الأثر، ٤٩٦/٤: الريض.

(٣) اللّوى: موضع أكثرت الشعراء من ذكره، وهو واد من أودية بنى سليم. انظر: ياقوت الحموى، معجم البلدان،٥/٢٣ .

(٤) فى محمد المحبى، خلاصة الأثر، ٤٩٦/٤: الجفا.

(٥) إضم: ماء فى الطريق بين مكة واليمامة عند السمينة، وقيل: واد بجبال تهامة، وهو الذى فيه المدينة. وقيل: واد يشق الحجاز حتى يفرغ فى البحر. انظر: ياقوت الحموى، معجم البلدان، ٢١٤/١ .

(٦) فى محمد المحبى، خلاصة الأثر، ٤٩٦/٤: أبرقت.

(٧) فى ل: ساقطة. والمثبت فى محمد المحبى، خلاصة الأثر، ٤٩٦/٤ .

(٨) فى محمد المحبى، خلاصة الأثر، ٤٩٦/٤: استقرّت.

٣٢- ما نطفة[١] بالصفاء مصفقة ... من ماءِ صدا نميرها الشبمُ[٢]

٣٣- قدْ راوحتها[٣] الجنوب آونةً ... وصافحتها العوارض السُّجُمُ[٤]

٣٤- فباتَ طلُّ الغمامِ يزعجُها ... بوقعةٍ تارةً ويحتشِمُ

٣٥- تصقلُها راحةُ النَّسيمِ ضُحى ... وتَنْتديها تحتَ الدُّجى الدِّيَمُ

٣٦- أبردُ منْ ظَلمِها على كبدي ... إذا تدانى منّا فمٌ وفمُ[٥]

٣٧- وما رياضٌ بالحزنِ باكرَها ... نوءُ السِّماكين وهو منسجمُ

٣٨- فاعتمَّ بالنّورِ جوُّها فغدَتْ ... جنّةَ لَهْوٍ منْ دونها إرَمُ[٦]

٣٩- قد توج الرند[٧] هام ربْوَتها ... [ومنطقت خصر][٨] دومها الخزمُ[٩]

٤٠- (ق ٧٥/أ) تَرْنو إلى الورد عينُ نرجسها ... شزرًا فثغرُ[١٠] الأقاحِ مبتسمُ

٤١- تغصُّ ممّا ضاع العبيرُ بها ... إذا تمشّى نسيمها الفغمُ[١١]

٤٢- ألطفُ مَنْ خلقٍ مَنْ غدا وعلى ... منْهلِ فَتواهُ الخلقُ تَزْدحمُ

٤٣- أبي الضياء المولى الذي انتظمت ... بفضله الكائنات والأُممُ

٤٤- الحسنُ الذات والصفات ومن ... به أولو الفضل والنهى ختموا

٤٥- علاّمة العصر قطبُ دائرةِ التّـ ... ـحقيقِ حبرٌ بالحلم ملتثمُ

---

(١) فى محمد المحبى، خلاصة الأثر، ٤٩٦/٤: نطقت.

(٢) النمير: الكثير، الناجع فى الرىّ. الشّبِمُ: البارد؛ ابن منظور، لسان العرب (نمر، شبم).

(٣) فى محمد المحبى، خلاصة الأثر، ٤٩٧/٤: روّحتها.

(٤) العوارض: مفرده العارض وهو السحاب الذى يعترض فى أُفق السماء. والسجم: السائلة، الممطرة، والمنصبّة؛ ابن منظور، لسان العرب (عرض، سجم).

(٥) فى ل: ورد بعد هذا البيت البيت رقم (٤٠) وشطب أول الشطرين منه، ولمّا كان كذلك، وهو مكرر، ومكانه رقم (٤٠) أنسب اسقطته من هنا، وأبقيته فى الرقم (٤٠). وذلك يمنع التكرار. كما أنه فى محمد المحبى، خلاصة الأثر، ٤٩٧/٤ . لم يرد هنا بل فى الرقم (٤٠).

(٦) إرم: اختلف فى تحديدها، فإرم جبل عظيم بين أيلات وسيناء أعطاه النبى صلى الله عليه وسلم لبنى جعال الجذاميين. وإرم ذات العماد، قيل: هى أرض كانت واندرست. وقيل: هى الاسكندرية، والأكثر يقول هى دمشق. انظر: ياقوت الحموى، معجم البلدان، ١٥٤/١ .

(٧) فى محمد المحبى، خلاصة الأثر، ٤٩٧/٤: الرفد.

(٨) فى ل: ساقطة. والمثبت فى محمد المحبى، خلاصة الأثر، ٤٩٧/٤ .

(٩) الخَزَمُ: شجر له ليف تصنع منه الحبال، وقيل: شجر الدّوم. والخزامى: نبت طيّب الريح؛ ابن منظور، لسان العرب (خزم).

(١٠) فى محمد المحبى، خلاصة الأثر، ٤٩٧/٤: وثغر.

(١١) الفغم: الريح الطيبة لأنها تفتح أنف المزكوم، فغم الورد: انفتح؛ ابن منظور، لسان العرب (فغم).

٤٦- فردٌ ولا مَثَلٌ في الوجودِ لَهُ ... والجوهرُ الفردُ ليسَ ينقسمُ

٤٧- طلقُ المحيا تَندّى بشاشةً ... والبشرُ من قبل وجهه نِعمُ

٤٨- يشفُّ منه ماءُ الحيا فلو ... أرسلَ عنه اللِّثامَ ينسجمُ

٤٩- بدرُ علومٍ، له العلا فلكٌ ... وليتَ علمَ يَراعه أَجَمُ[1]

٥٠- داسَ مناطَ العُلا بأَخْمَصِهِ ... فاقتعدَتْ هامُها له قدَمُ

٥١- لم يَلِدِ الدهرُ مثلَهُ ولكم ... مرَّت ليالٍ بمثله عقمُ

٥٢- أحرزتَ في حلبة الحجى قصبَ السْـ ... ـسَبقِ وفاتَ الأنامَ كلهمُ

٥٣- فجاءَ وفقَ المنى وقد عذبت ... منه السَّجايا وطابت الشيمُ

٥٤- ذا فكرة تدرك الخفي من الـ ... أمرِ ورأيٍ وهكذا الفهمُ

٥٥- وهمَّةٍ في الكمالِ يَصْرِفُها الدْـ ... ـدَهرُ وللفضلِ تعرَفُ الهِمَمُ

٥٦- ساجِلْهُ يومَ الرِّهانِ تلقَ فتًى ... بحرًا بتيارِ العلْمِ يلْتَطِمُ

٥٧- واعطفْ عليه حيثُ انتهى وعلى ... محلّه فهو المفردُ العلمُ

٥٨- ربَّ القوافي كأنَّها قطع الرْـ ... ـرَوضِ سقَاها من صوْبِهِ الرَّهَمُ[2]

٥٩- يَروُقُني منهُ منْطقٌ ذَربٌ ... تفخرُ العربُ فيه والعجمُ

٦٠- ينفثُ سحرَ البيانِ منْتَثِرًا ... ويبرزُ الدرَّ وهو منتظمُ

٦١- فمثلُهُ مَنْ للخلقِ مرحمةٌ ... وكم أُناسٍ وُجودهم عدَمُ

٦٢- مولايَ يا مَنْ جلَّت مكانتُهُ ... مِنْ أَنْ تُرى والورَى لها خَدَمُ

٦٣- (ق ٧٥/ب) لنْ يبلُغَ المدحُ فيكَ غايتَهُ ... بلْ دونَ مغناكَ يُفْقَدُ الكَلِمُ

٦٤- لي منكَ حَظٌّ ما زلتُ آخذُهُ ... عفوًا وفي الطالبين مُزْدحمُ

٦٥- فطمتني في حولين منهُ، وهَلْ ... يا موئلي طفلُ الفضلِ يَنْفطمُ

٦٦- فاسْمَحْ فهذي - مَوْلاي - مسألتي ... أنتَ بها الخصمُ - دُمْتَ - والحكمُ

٦٧- وهاكَ منْ بنتِ فكرَتي مِدَحًا ... لم يفترِعْ مثلَها سواكَ فَمُ

---

(١) الأجمة: الشجر الكثير الملتف، الأجمة: القصب؛ ابن منظور، لسان العرب (أجم).

(٢) الرِّهمةُ: المطر الضعيف الدائم الصغير القطر؛ ابن منظور، لسان العرب (رهم).

٦٨- مُوافيًا في عينِ الحسودِ قذًى تَبْقى وفي مسْمعِ العِدى صَمَمُ

٦٩- مِنْ كل عَذْراءَ فيكَ قدْ خلعَتْ عِذارها فانجابَتْ لكَ اللّثَمُ

٧٠- سيّانَ في الآفاقِ قَدْ بلغَتْ شَوْطَ النّعامى[١] وما بها سَأَمُ

٧١- لو أنَّ سحبانَ[٢] حاضرٌ لقَضى لها بسَبْق، وظلَّ يَحْتَشِمُ

٧٢- ولو تقاضوا فيها إلى حكَمٍ لقالَ هذي إنْ أُنصِفَتْ حكمُ

٧٣- شرَّعتُ فيها مَذاهبًا درَستْ منذُ زهيرٌ أصغى له هَرِمُ

٧٤- مُذْ طلعَتْ منكَ ثمَّ قَدْ غرُبَتْ فيكَ فوافَتْ في أنْفِها شَمَمُ

٧٥- لا غَرْوَ أنْ نالت القبولَ، ولو لاكَ لكانت سيَّانَ والعدَمُ

٧٦- فابقَ لها لا بَرِحتْ عُرْوَتُها الـ وُثْقى على الدَّهْر ليسَ تنْفَصِمُ

٧٧- واسلمْ ودُمْ واحيَ واسمُ واعلُ وسُدْ تَعْنُو وقار القصائم[٣] القممُ

٧٨- ما هلَّ شهرُ الصومِ مُفتتحٌ وجاءَ منْ عيدِ الفِطْرِ مُخْتَتِمُ

وكتبَ إليَّ الولدُ الحبيبُ، والخليلُ النجيبُ، الذى يزكو غرسُهُ على سحائب الأدب ويطيبُ، ويُستماحُ من قليبِ جوده الفضلُ القريبُ، مَنْ أَجرى من كُلِّ أُنملة منه الماءَ المعين، أحمد جلبى الشهير بابن شاهين، لا زال نجم السعود له خير معين، لأمور تُطال وتُطاب، وهى[٤]:

بسم الله الرحمن الرحيم، وهو المعين (ق٧٦/أ) أعزَّ اللهُ مولايَ، وسيّدى الذى سكنَ من الجوارحِ أَشْرفَها، وسلكَ من طرق الجفاءِ المُبَرِّح أوعرَها، وأَسْرفَها، وبالغَ فى العقوبةِ، وزادَ، واستغرقَ أوقاتَ الودادِ بالبعدِ والعتاد، وارتكبَ مركبًا من الخليقةِ صعبًا، وقطعَ الطرق إلاّ طرقَ الوفاء وثبًا، واستعارَ أُذنًا ليستوعى بها المثالبَ، وعينًا ينظرُ بها

(١) النّعام: من منازل القمر، ثمانية كواكب؛ أربعة صادر، وأربعة وارد؛ ابن منظور، لسان العرب (نعم).

(٢) هو: سحبان بن زمر بن إياس الوائلى، خطيب يضرب به المثل فى البيان، فيقال: "أفصح من سحبان"، وهو مخضرم توفى سنة ٥٤/، ٦٧٤ ترجمته: فى ابن عساكر، التهذيب، ٦٥/٦؛ البغدادى، خزانة الأدب، ٣٤٧/٤؛ الزركلى، الأعلام، ٧٩/٣ .

(٣) القصائم: من الرمال ما أنبت العضاه، القصيمة: ما سهل من الأرض وكثر شجره، القيصوم: ما طال من العشب؛ ابن منظور، لسان العرب، (قصم).

(٤) تخريج الرسالة، وردت فى: البورينى، تراجم الأعيان، ١٤٦/١-١٥٥ . وقدّم لها بتقديم مختلف عما هو فى (ل). وهو: "وكتب إليّ هذه الرسالة لأمر عرض، وقد اقتطف غالبها من زهر الآداب، لا برح رحب الجناب، وهى" : .

المعايبَ، ويدًا[١] يبطش بها فى كل صاحب ومُصاحب، ورِجْلاً يسعى بها إلى الأباعد دونَ الأقارب، وَوَجْهًا يتصرَّفُ فى أسرته كتصرّف الملكِ الجائرِ فى رعيّته، ويفعلُ بمحبيه ما لا يفعله الدهر ببنيه.

لا تظهرُ الطلاقةُ فى وجهه إلاّ رَيْثما يخْلطها بإعراض، ولا ينبسط هُنَيْهة من الزّمان إلاّ وهو وشيكُ انقباض، يبدو لطفُه لُمعًا ثم ينقطعُ، ويحلو ماؤُه جُرعًا ثم يمتنع. فلا يدوم له سرورُ الهناءِ بما هو من حمانا يحلّه، وبما هو من أعراضنا يستحلُّه، فياليت شعرى أىَّ مصون من سرّكَ أذعتُهُ، أو مفروض فى الخدمة رفضتُه، أو واجب فى الزيارة أهملتُه؟. وهل كنتُ إلاّ كما قيل: ضيفٌ أهداهُ بلدٌ شاسعٌ، وادّاه أملٌ واسع، وحداهُ عقلٌ وإن قلَّ، وهداهُ رأىٌ وإن ضلّ. ثم ما بَعُدَتْ صحبةٌ إلاّ أدنت مهانة، ولا زادت حرمة إلا نقصت صيانة، ولا تضاعفتْ ذِمةٌ إلاّ تراجعت منزلة، ولم تزل الصُّفَةُ بنا حتى صارَ الوابلُ[٢] رذاذًا، والتشوّق المفرطُ مُستعاذًا، وصارَ حُسْنُ ذلك الالتفات ازْورارًا، وطويلُ ذلك السلام اختصارًا، والاهتزازُ ايماءً، والعبادة إشارة[٣]: [الطويل]

وموتُ الفتى خيرٌ له من حياته إذا كانَ ذا حالينِ يَصْبو ولا يُصبي

وكان المهلّب[٤] يقول: "عجبت لمن يشترى العبيد بماله، كيف لا يملك الحرّ بمعروفه". وفى الحديث: "البشاشة خيرٌ من القِرى". وفى المثل (ق٧٦/ب): "البوم العبوس، خيرٌ من الوجه العبوس". ومن كلامهم: "الحوادث الممضّة مكسبةٌ لحوظٍ جزيلة، منها: ثوابٌ مدّخَر، وتطهيرٌ من ذنب، وتنبُّهٌ منْ غفلة، وتعريفٌ بقدرِ النّعمة". لحظوظ وقد شاهدتُ فيها خامسًا، وهو: صَوْنُ ماءِ الوجهِ عن الذُّلِ والهوان، فالتعَسُ خيرٌ لها من أن أقول لها: [الرجز]

إحدى لياليك فهِيسي[٥] هِيسي لا تَنْعمي الليلةَ بالتعريسِ

* * *

(١) فى البوريني، تراجم الأعيان، ١٤٦/١: وبدأ.

(٢) الصُّفة: الظلّة. الوابل: المطر الشديد الفخم القطر؛ ابن منظور، لسان العرب (صفف، وبل).

(٣) فى البوريني، تراجم الأعيان، ١٤٧/١: "إشارة، كما قيل".

(٤) هو: المهلب بن أبى صفرة، أحد قادة الأمويين، حارب الخوارج، وغزا الهند، وولاه الخليفة عبد الملك بن مروان ولاية خراسان، توفى سنة ٨٢ أو ٨٣/٧٠١ أو ٧٠٢ . ترجمته فى: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٣٥٠/٥؛ الزركلى، الأعلام، ٣١٥/٧ .

(٥) الهَيْسُ: السَّيرُ أىّ نوع كان، هاس فى الليل: سرى. وهى كلمة تقال للرجل عند إمكان الأمر وإغرائه به؛ ابن منظور، لسان العرب (هيس).

[البسيط]

مـولايَ يا مَنْ لَهُ فـي كُلِّ جـارحـةٍ لسـانُ شكرٍ يُؤدي بعضَ مـا وَجَبـا

مـا هذه الكراهةُ من فتًى خـفـيف الجسـدِ والرّوحِ، ثقيلِ الرأسِ بالعـقل، غـضـيضِ الجفنِ بالحياءِ، طلقِ الوجـهِ، عفِّ اللّسانِ، رَحْبِ الصدرِ، باسطِ الكفِّ بالجودِ، طويلِ الباعِ بالإحـسـانِ، صـافيَ القلْبِ، سليمِ الفطرةِ، مـحنيِّ الضُّلوعِ على الأَسَى، مـطويِّ الجـوانحِ بالهوى، قصيرِ الخُطى عن الأذى، [البسيط]

فما محـاسـن شـيء كلُّه حسـنُ

مـا فـيـه لوٌ ولا ليتٌ فَـتَنْقُـصَـه وإنمـا أدركـتْـه حـرفـةُ الأدب

على أنَّنى والحـمدُ لله لم أكن مَذاذًا[1] مع الحـرمـان عنك ولا شُرْب، ولكنّنى أبردتُ صـدرى بنهلةٍ من الفـضـل غَـصّت دُون مـوردهَا الشَّـرْبُ، وذلك لأنى أطلتُ الـتـردّد إليك، وعَـوّلْتُ أمـرى فى طلبـى عليك، وَوَرَدْتُ من أنهارِ فـضلك كلَّ مَـعـين، وكنتَ لى فى طلبى وأملى خـيـرَ مُعين. والنعـمةُ لا تُجحـد، والحـسنـة لا تكفـر، والشـمسُ لا يمكن سـتـرها بحجاب، والبدرُ لا يخفى ضوءُه وإن كان تحت السحـاب، والكذبُ شيمة المنافقين، ألا لعنةُ الله على الكاذبين[2].

ومـا قلتُ ذلك إلاّ رائيًا أن لا طِيبَ إلاّ مـا اختلط بتُرابك، وأنْ لا سَـعْدَ إلاّ مـا جـثم ببابك، وأنْ لا ربيع إلاّ فى بقعتك، وأنْ لا أُنس إلاّ بطلعتك. وأنْ لا فَـرَحَ إلاّ بقربك، وأن لا ترَحَ إلاّ ببعدك، وأن لا نشاطَ إلاّ بحبّك، وأنْ لا عِلْمَ إلاّ مـا استُفيدَ منك، وأن لا فَضْلَ إلا مـا أُخذ عنك، وأن لا دليلَ إلاّ مـاجىء به مـعزوًا إليك، وأنْ لا سندَ إلاّ مـا نقل من فـيك ومُـحـال عليك. (ق٧٧/أ) لعلمى بأنك البـدرُ الكامل، والفـردُ الذى ليس له مُـعـادل ولا مُماثل. هذا مع مغالاتى فيك، ومنافستى عليك، ومناظرتى بك، وانتمائى بالفضل التام[3] إليك، وإنشادى مستمسكًا بحبل ودادك، ومتمسكًا بترب مهادك.

[الكامل]

وإذا نَـظَـرْتُ إلـى أمـيـري زادنـي ضنًـا به نظـري إلـى الأمـــراءِ

ومعتقدًا[4] أنَّ رضـاك ثواب، وغـضبَك عقـاب، ورَغْبَك إحسَان، ورَهَبك خُسْران.

(١) المذْمَذُ: الصيّاحَ كثير الكلام. والمذْمَيذ: الكذاب؛ ابن منظور، لسان العرب، (مذذ). وأتصور أن المراد: كثير الشرب للخمر الممزوجة بالماء، فهو المعنى المناسب للسياق، اللسان (مذى)، المصحح.

(٢) هنا اقتباس من قوله تعالى ﴿فنجعَلْ لعنةَ اللهِ على الكاذبين﴾ .آل عمران، ٦١/٣ .

(٣) فى البورينى، تراجم الأعيان، ١٤٨/١: بالفضيلة التامة.

(٤) فى البورينى، تراجم الأعيان، ١٤٨/١: معتقدًا.

وإعراضك جحيم، والتفاتُك نعيم، ومثلُكَ لا مثْلَ يضاهيكَ. إنْ غضب تجمّل، وإنْ تأذّى ولو بوهم تحمّل. وإنْ جاءه فاسق بنبأ تبصّر واستفسر[١]، وإن ثبتَ لديه شيءٌ ولو دعاءً اغتفر واستهتر فهاتِ قلْ لى يا منْ مكانتُه فى القلب قدْ حلّها بمفرده، أىّ جواب لمن سألَ عن حلمك، واستفسرَ عن ثمرةِ علمكَ؟ فإنَّ الحلم ثمر العلم. وهو دالٌّ عليه كدلالة النُّورِ على الثّمر.

وقد وُجدَ كماله فيك، وظهرت ثمرتُهُ عليك، وتذلّلت قطوفه دانيةً إليك. وكذا الناسُ مجمعُون على فضلِكَ ما بينَ سيِّدٍ ومَسُود. عرف العالمون فضلَكَ بالعلمِ، وقالَ الجهالُ بالتقليد.

وأعودُ فأقولُ: بعضُ هذا الجفا يا مولاى يكفى، وجزءٌ من هذا الإعراض يجزى. وفى قليل من صدودك انتقامٌ كثير، وفى يسير من هجرك إسرافٌ وتبذير، وفى أدنى ما بلغنى عنكَ كافٍ ومُقْنع، وفى أقلّ ما رأيتهُ منكَ للقلب مؤلمٌ مُوجع. وفى المثل «مَنْ يسمع يخَلْ»، و«مَنْ يُكْثر يُمَل». هذا بذاك ولا عتب على الزمن.

أظنُّ[٢] أنّ الداعى إلى مهاجرتى نميمةٌ جاء بها فاسقٌ، ونبأ افتراه كاشح[٣]. ومع ذلك لو اكتسبتُ كبيرةً لما استوجبتُ من العقوبة المنهكة بعضَ ما عاينْتُهُ وعانيتُهُ، ولو ارتكبتُ جريمةً لما استحقيتُ من القطيعةِ المهلكةِ أعظمَ مما رأيتُه وقاسيتُه، ولو أشركتُ -والعياذ بالله تعالى- لمحت ذنبى التوبَةُ والاستغفار. ولو كَفَرْتُ -معاذ الله- لعفّت على كفرى الندامةُ والاعتذار. ولما احتملَ أن يُسمّى كبيرة، ويُدعى ولو على المجاز (ق٧٧/ب) جريرة.

وهب أنّنى يا مولاى لا أُواخذك بأعْرَاضك وإعراضك، ولا أُعاتبك بإسرافك وإخلافك، ولا أُقابلك بأخلاقك[٤] وإخلاقك، ولا أوجهك[٥] بانقيادك وعدم انتقادك، ولا أعارضك بإعراضك وعدم اعتراضك، ولا أطالبك بتألّمك وعدم تأملك، ولا أحاسبك بما حرمتنيه من عَطفك، ولا أصادرك وإنْ سُؤْتَنى بما تثنيه من عطْفِك.

[أ][٦] فى حكم المروءة أن تُبعدَ من يُقاربك، وتطردَ من يصاحبك، وتطرح من يهابك

---

(١) فى الجملة اقتباس من قوله تعالى: [يا أيُّها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا] .الحجرات، ٦/٤٩.

(٢) فى البورينى، تراجم الأعيان، ١٤٩/١: وأظنّ.

(٣) الكاشح: العدوُّ المبغض الذى يضمر عداوته؛ ابن منظور، لسان العرب (كشح).

(٤) فى ل: بعد بأخلاقك وردت العبارة: "ولا أحاسبك بما حرمتنيه". ثم شطبت بخطٍ أفقى.

(٥) فى البورينى، تراجم الأعيان، ١٥٠/١: أواجهك.

(٦) فى ل: ساقطة. والمثبت فى البورينى، تراجم الأعيان، ١٤٩/١ .

ولا يملُّك، وتسمح بقطيعة من يُجلُّك ولا يُخلُّك. ومن أمثالهم: أهل الحفائظ أهل الحفاظ، والحفائظ تحلّل الأحقاد. فأين من سيدى الحفيظةُ المأمولةُ لتحلّل ما عنده وما استقصاه. وتهدم ما شاده الواشى وما بناه؟ [البسيط]

والعينُ تعرفُ من عَيْنَيْ محدِّثها إنْ كانَ مِنْ حزْبها أو مِنْ أعاديها

وقد بلغتنى مقالةٌ من بعضها فى القلب قُروحٌ، فليتَ شعرى، وهلْ ليتٌ بنافعةٍ متى كان جرحًا صار قزحًا؟ ومتى قدَح الزندُ حتى اضطرم هذا الوقد؟ ومتى تكاثف القَطْرُ وهمى، حتى اجتمع هذا البحر وطَمَى؟ ومتى طنّت الحصا حتى بلغ صداها إلىَ عنان السما؟ [الرجز]

قد أصبحتْ أمُّ الخيار تَدَّعى عليّ ذنبًا كلّه لم أَسمع[١]

وبالجملة فقد شاركت الليال، فى تقلّب الأحوال، ووافقت الأيام فى اصطناعها اللئام. [البسيط]

ما لليالي أقالَ اللهُ عَثْرَتَنا من الليالي، وخانتها[٢] يدُ [الغير][٣]

هلا ألهمْتَ أن تَردَ بعقل وتصدرَ بتمييز، وما ذلك على الله بعزيز[٤]. ولولا أنك أعنْتَها ونصرْتَها، وآزرْتَها وظاهرتَها، لرُدَّتْ على أعقابها ناكصةً، ورجعتْ على أدبارها خائبةً، ولأمنْتَ مكرَها، (ق٧٨/أ) واجتنبْتَ إصرَها. ولكنها جمرةُ ليل، وأثرُ ثمادة[٥] لا سيْل، وبناءٌ على شَفَا، وعلةٌ قريبة الشّفا. وقد ثبت أن العقوبة للمسىء، والحرمانَ للمجرم، والخذلانَ للمعتدى، والقصاصَ للمذنب، والمؤاخذة للجانى. وأنا أبيض وجه العهد، واضح حجّة الودّ، مصاحب التوفيق، برىء الساحة، مجانب الهفوات.

ولو أننى قلتُ[٦] أنه أمرٌ بُيّت بليل، لجازيتُ الصانعَ كيلاً بكيل، ولكنى[٧] سأُرِيَنَّهُ ناجذى وأتجلّد[٨]، وأُرِى الشامتين أنى لرَيْبِ الدهر لا أتضعْضَعُ[٩].

---

(١) فى البوريني، تراجم الأعيان، ١/١٥٠: أصنع، وهو الصواب ، وهو لأبى النجم، تاج العروس: (خير).
(٢) فى البوريني، تراجم الأعيان، ١/١٥٠: وغالتها.
(٣) فى ل: ساقطة. والمثبت فى: البوريني، تراجم الأعيان، ١/١٥٠ .
(٤) فى العبارة اقتباس من قوله تعالى: ﴿وما ذلك على الله بعزيز﴾إبراهيم، ١٤/٢٠ .
(٥) الثّمدُ: الماءُ القليل الذي لا مادَّ له، يظهر فى الشتاء ويختفى فى الصيف؛ ابن منظور، لسان العرب، (ثمد).
(٦) فى البوريني، تراجم الأعيان، ١/١٥١: علمت.
(٧) فى البوريني، تراجم الأعيان، ١/١٥١: ولكنّه.
(٨) كلها أقوال مأثورة.
(٩) إشارة إلى قول أبى ذؤيب الهذلى:

وتجلدى للشامتين أُرِيَهُمُ أنى لريب الدهر لا أتضعضع

(المصحح)

ولعمركَ[١] ما علمتُ أنَّ صريحَ الرأي في التحوّل مطلوبٌ، ولا تحقَّقتُ أنَّ المجازَ في كُلِّ تركيب من الألفاظ العرفيّة متداولٌ مرغوب، لأتبصّر أنّ قول القائل مثلاً: "اذهب الأعمى" أن يكون عبارة عن طَردِ المخاطبِ ضمنًا. وقدْ تقرَّرَ أنّ المتكلم يُدخل في عموم كلامه لا أنّ المخاطبَ يدخل في ما خُوطبَ به. ولو علمتُ قبل ما عدتُ بعدُ[٢].

[الخفيف]

١- لستُ أشكو من امتناعك عني ... يا مُنى النّفْسِ حيث عزَّ الإيابُ

٢- سوءُ حظّي أنالني منكَ هذا ... فعلى الحظِّ لا عليْكَ العتابُ

وأحْرِ بقول القائل: [الطويل]

إذا لم تكُن حاجاتنا في نفوسهم[٣] ... فليسَ بمغْنٍ عنك عقدُ الرتائم

* * *

[الطويل]

حَلَفْتُ ولم أترُك لنفسِكَ ريبةً ... وليسَ وراءَ الله للمرء مذهبُ[٤]

إني ما قابلتُ إحسانك بكفر، ولا أسأتُ أدبًا في مَا صنعتُه في خدمتك بأن أتبعه بمنّ. ولك عندي اليدُ البيضاء التي لا أقبضها عن الدعاء لك، والأخرى التي لا أبسطها[٥] إلى الدعاء عليك، وها أنا أشكو إليك، جعلني الله فداك، ما لا تمكنُ الصراحة به، ولا الإيضاح عنه، ولا التوصّل بالاستيفاءِ إليه، ولا التسلط بالاستحضار عليه، ولا التّجمل بالإغضاء معه، ولا البيان بما فيه (ق٧٨/ب)، ولا التمحّلُ له. وربما ذكرت البعضَ منه، وقلتُ لعلّي كنت شائمًا سرابًا، أو مستمطرًا جهامًا، أو رائيًا خلّبا[٦]، أو واردًا حيثُ لا مرادَ، أو مستعينًا حيث لا مُعين، أو مستغيثًا حيث لا مُغيث، أو مستجيرًا حيث لا مجار، أو مستميحًا حيث لا سماح. ولك المثلُ الأعلى[٧].

---

(١) في البوريني، تراجم الأعيان، ١٥١/١: ولعمري.

(٢) في البوريني، تراجم الأعيان، ١٥١/١: بعدا .

(٣) في ل: نفوسكم. ثم شطبت حروف سكم. وكتب أعلاها حروف: سهم.

(٤) في البوريني، تراجم الأعيان، ١٥١/١: مطلب، والبيت للنابغة الذبياني (ديوانه ٧٢).

(٥) في البوريني، تراجم الأعيان، ١٥٢/١: أسلطها.

(٦) الجهَامُ: السحاب الذي لا ماء فيه. الخلّب: السحاب الذي لا مطر فيه؛ ابن منظور، لسان العرب (جهم، خلب).

(٧) في الجملة اقتباس من قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ..﴾ النحل، ٦٠/١٦ .

[الكامل]

١- لا تَعجبوا ضَرْبي له مَنْ دونه مثلاً شرودًا في الندى والباس

٢- فالله قد ضرب الأقلَّ لنفسه[١] مثلاً من المِشكاة والنّبراس[٢]

[الطويل]

ولو كانَ رمحًا واحدًا [لاتَّقيْتُه ولكنّه رمحٌ وثانٍ وثالثُ][٣]

فهل كنت كالمقتدى بناقضة الغَزْل، أو كمستصحب سراةً لملمّة فاذا هم عُزل، أو كراضٍ من الغنيمة بالإياب، ومن المركب بالتعليق، أو كراجعةٍ بخفَّيْ حُنين[٤].

هذا وأنا أقول: لن يَضرّ الحوَارَ[٥] وطيئةَ[٦] أُمّه، بيد أنه يقال فى ما مضى من المدد الخوالى. [الكامل]

فقسا ليزدجروا ومَنْ يكُ حازمًا فَلْيَقْسُ أحيانًا على من يرحَمِ

[الطويل]

١- ومثليَ قَدْ تهفو به نشوةُ الصِّبا ومثلُك قد يعفو، وما لك من مثْل

٢- وإني لتنهاني نُهاي عن التي أشاد بها الواشي ويعقلني عقلي

٣- وما أنا[٧] بالمهدى إلى السوء[٨] والخنا ولا بالمسيء القولَ في الحسنِ الفعل

٤- فهاتِ جوابًا عنك ترضى به العلى إذا سألتْني بعدُ ألسنةُ الحفل

٥- فبين الرضا والسخط ظنّيَ واقف وقوفَ الهوى بين القطيعة والوْصل

ولو تيسرتْ لى مخاطبتك مشافهة لكان لى معك ذوق من الكلام، لكنْ لما عزّت المواجهة، استشفيت بالمكاتبة والمراسة قائلاً: [الكامل]

لك الحمدُ أما ما نحبُّ فلا نرى وننظر ما لا نشتهي فلك الحمدُ

---

(١) فى: البورينى، تراجم الأعيان، ١٥٢/١: لنوره.

(٢) إشارة لقوله تعالى ﴿مثلُ نُورِهِ كمشكاة...﴾ النور، ٣٥/٢٤ ، والبيتان لأبى تمام.

(٣) فى ل: ساقط. والمثبت فى: البورينى، تراجم الأعيان، ١٥٢/١ .

(٤) كلها أمثال.

(٥) الحوار: ولد الناقة قبل أن يفصل عنها؛ ابن منظور، لسان العرب، مادة حور.

(٦) فى البورينى، تراجم الأعيان، ١٥٢/١: وطئةُ.

(٧) فى: ل. كتبت على الهامش الأيمن للصفحة، وأسفلها كتب كلمة: صح.

(٨) فى ل: السود والمثبت فى: البورينى، تراجم الأعيان، ١٥٢/١ .

ولعمرُ أبى إنّ ليلى عليك ليلُ السليم[١]، ونهارى دونك نهارُ الأليم، وفكرى قد صَدِئ لعدم مطارحتك، وطرفى قد قذى لندرة مشاهدتك، وقلبى لعزّةِ رضاك واجبٌ مضطرب. وصَدرى لقلة مواجهتك[٢] حرجٌ (ق٧٩/أ) ضيّق، وفمى لبُعد مصاحبتك واجمٌ ساكت، وصادف حجاى عارض وعَين، فغلّنى الدمع بسلاسل من عسجد ولجين[٣].

[الطويل]

أما والذي أبكى وأضحك والذي ... أَمات وأحيا والذي أَمْره الأمْرُ

لقد صدئت مرآة الكمال، وقذىَ طرفٌ طالما سهر الليال. وتزلزلَ محلٌّ سيدى من قلبى، أطال اللهُ له البقا، ومنحه سوابغ النعم وارتقى. [الطويل]

رفقًا بمنزِلكَ الذي تحتلُّه ... يا[مَنْ][٤] يُخَرَّبُ [بيته بيديه][٥]

وضاق وسع الفضا، وسكت مِصْقَعُ الخطبا، وُجنّ صاحى القوم، وبكت مُقلةٌ يعزّ عليها النوم. [الطويل]

١- إذا الليل أضواني بسطتُ يدًا[٦] الرجا ... وأسبلت[٦] دَمْعًا من خلائقه الكبرُ

٢- معلّلتي بالوصلِ والموتُ دونه ... إذا متُّ عطشانًا فلا نزل القَطْرُ[٧]

أما تتّقى الله فى واقف أمامك مستغفر تائب؟ وأرَقُّ ما يُعرضُ على المولى قوله القائل: [الطويل]

١- سَلي تعلَمِي إن كنتِ غيرَ عليمةٍ ... بأَنّ ليسَ في حبّى لغَيْرِكِ مطمعُ

٢- وأنّ ليَ القلبَ ليسَ خاليًا ... من الوجدِ، والجفن الذي ليسَ يَهجعُ

٣- فَو الله لا أنفكُّ أذكرُ موضعى ... لديكِ ولا أَنْفَكُّ نحوكِ أنزعُ

وهذا معنى قول القائل: [الكامل]

١- وقفَ الهوى بي حيثُ أنتَ فليسَ لي ... متأخرٌ عنه ولا مُتَقَدَّمُ

(١) السليم: اللديغ. السّلمُ: لدغ الحيّة؛ ابن منظور، لسان العرب (سلم).

(٢) فى البورينى، تراجم الأعيان، ١٥٣/١: مؤانستك.

(٣) العسجد: الذهب، اسم جامع للجوهر كله. اللُّجين: الفضة؛ ابن منظور، لسان العرب (عسجد . لجن).

(٤) فى ل: ساقطة. والمثبت فى: البورينى، تراجم الأعيان، ١٥٣/١ .

(٥) فى ل: ساقطة. والمثبت فى: البورينى، تراجم الأعيان، ١٥٣/١ .

(٦) فى البورينى، تراجم الأعيان، ١٥٣/١: الهوى وأذْلَلتُ.

(٧) البيتان لأبى فراس الحمدانى.

٢- جاورتِ أعدائي فَصِرْتُ أُحبُّهم إذا صار[١] حظِّي [٢]منكِ حَظِّيَ[٢]منهمُ
٣- وأَهنتِني فأهنتُ نفسي طائعًا[٣] يا من يهونُ عليك مـمّن يُكرَمُ

وبالجملة: [البسيط]
أُعيذُها نظراتٍ منك صادقةً أن تحسب الشحمَ في مَنْ شحمُه وَرَمُ[٤]

وهاك هديّة [٥]الوقت، وعفو السّاعة، وفيض البديهة، ومسارقة القلم، ومسابقة اليدين للفم، وجمرات الحدَّة. وثمرات المدَّة، ومُهاداة الخاطر[٥] للناظر، ومباراة الطبع للسمع، ومجَاذبة الجنان للبنان. وها هو جواد البلاغة عالك الشكيم[٦]، حابس العنان. لم يأخذ طلقه، [ولم يستوف مضماره. وهذا هو النهض فما بالك بالركض. وقد آلى أنه لا يعرف عرق التنبه ما لم يسمع بتَصْهاله، ويرعد بقرع نعاله][٧]، وبوصل ممتطيه غايةً لا تُدرك، وغارةً (ق٧٩/ب) بالرياح الهُوج لا تُنْتَهَك. ومع ذلك لو نظمت النثر كالدرر، وأتيتُ به رائقًا كنسيم السحر، وموشيًا كألوان الزهر، لما كنتُ إلاّ كمُهدى التمر إلى هجر. ومستبضع الغرب إلى سوق النبع. [الكامل]

١- أُهدي لمجلسهِ الكريم وإنما أُهدي له ما حزتُ من نعمائه
٢- كالبحر يمطُرُهُ السَّحابُ وما لَهُ مَنٌّ[٨] عليه لأنَّهُ منْ مائه

وآخر ما أقوله: إن ودّى موقوف عليك، وحبيسٌ سبيلك، وتحت رهنك. فمتى عاودته وجدته سائغ المعبر، غضّ المنظر، هنيء المخبر. يندى بشاشة، ويقطر حسنًا، ويفوح عنبرًا، ويثمر لطفًا.

فإنْ فعلتَ ذلك فهو حسن. وإن عدتَ فالعودُ أحمد. وإن كان الأمر كما يُقال لا ولا فالغبن مشترك[٩]، والله تعالى يتولى السرائر. ويعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور[١٠].

(١) فى البورينى، تراجم الأعيان، ١٥٤/١: كان.
(٢-٢) فى ل: منهم. والمثبت فى: البورينى، تراجم الأعيان، ١٥٤/١ .
(٣) فى البورينى، تراجم الأعيان، ١٥٤/١: صاغرًا.
(٤) البيت للمتنبى فى شرح الديوان، للعكبرى، ط مصطفى البابى الحلبى، تحقيق : مصطفى السقا وآخرين، ٣٦٦/٣ (المصحح).
(٥-٥) فى ل: كتب على الهامش الأيمن للصفحة فى أربعة سطور قصيرة، وفى نهايتها كلمة: صح. وقد أشير إلى مكانها فى السطر.
(٦) الشكيمة من اللجام: الحديدة المعترضة فى الفم؛ ابن منظور، لسان العرب، مادة (شكم).
(٧) فى ل: غير موجود. والمثبت فى: البورينى، تراجم الأعيان، ١٥٤/١ .
(٨) فى البورينى، تراجم الأعيان، ١٥٤/١: فضلٌ.
(٩) فى ل: كتب على الهامش الأيسر للصفحة فى سطرين وبنفس الخط: "قوله فالغبن مشترك، ينظر إلى قول القائل: (الطويل)
● فمن صدّ عنّا حظّه الصدُّ والقلى ومن فاتنا يكفيه أنّا نفوتُهُ
(١٠) هذا اقتباس من قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾. غافر ١٩/٤٠.

وإن راسلتك بما زاد أو نقص، فهو منك وبسببك. وصلّى الله على من لا نبيّ بعده. وعلى آله الطّيبين الطاهرين.

[١]قالها، وكتبها العبد العاجز المسكين، الفقير، الحقير أحمد بن شاهين[١].

كتب إليّ الشاب الأديب الذكيُّ اللبيب، الشيخ محرّم الطرابلسى[٢] [٢]هذه القصيدة[٣] فى دمشق، وكانت قراءتها بمنزلى فى يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر ربيع الأول، من شهور سنة ست عشرة بعد الألف من هجرة خير الأنام، عليه من الله الصلاة والسلام.

والشابُ المذكورُ، طبيعته وقّادة، وفكرتُه نقّادة، وهوَ من ذوى البيوتِ القديمةِ بطرابلس الشام، حماها الله تعالى من حوادثِ الأيام، وهذه القصيدة المذكورة فى هذه الأوراق إنّما نسبناها إليه باعتبار دعواه، ولعلَّ الواقع أنْ يُطابق مَدّعاهُ. فإنْ ظهرَتْ بعد ذلك لأحدٍ منَ الشُّعراءِ، فلا بدعَ فى ذلكَ ولا مراءَ (ق٨٠/أ)؛ لأنَّ المقامَ محتملٌ لذلكَ. واللهُ تعالى عالمٌ بما هنالكَ، قالَ: [البسيط]

١- يا طلعةً أنزلَ الحسنُ البديعُ بها ... وما لها أبدًا فى الكونِ تِمْثالُ

٢- كم فيكِ يا نزهةَ الأرْواحِ لي طربٌ ... الخدُّ لي روضةٌ، والريقُ جريال[٤]

٣- ريقٌ حَلا، وقوامٌ منكِ يختالُ ... يا حبّذا منكِ معسولٌ وعسّالُ[٥]

٤- ومَا لخدِّكَ ندٌّ في مَلاحتهِ ... فالوردُ والندُّ ذاكَ الخدُّ والخالُ

٥- قتلتِ أهلَ الهوى عمدًا ولا عجبٌ ... كم في لحاظكِ سيَّافٌ ونبّالُ

٦- هلْ ينعمُ الدّهرُ إحسانا بوصلكِ لى ... يومًا وينعمُ يا سَلْمى لكِ البالُ

٧- لا يمسكُ الدَّمعُ جفني كلَّما ذُكِرَتْ ... كأنَّهُ كفُّ مفتي الشام والمالُ

٨- الفاضلُ الحسنُ النّدبُ الذي شَهِدتْ ... بفضلهِ سائرُ الأقطارِ سُؤالُ

(١-١) فى البورينى، تراجم الأعيان، ١/١٥٥: غير موجود.

(٢) انظر ترجمته فى: البورينى، تراجم الأعيان (فيينا)، ق١٤٢/ب.

(٣-٣) فى ل: كتبت مرة ثانية وشطبت كل كلمة بخط مائل.

(٤) الجريال: الخمر الشديدة الحمرة، صفوة الخمر. ابن منظور، لسان العرب، (جرل).

(٥) فى ل: كتب هذا البيت على الهامش الأيمن للصفحة بجانب السطور، من أعلى إلى أسفل، وفى نهايته وضع كلمة: صح. الجارية المعسولة: حلوة المنطق مليحة اللفظ طيّبة النغمة. الرمح العسّال: المضطرب اللدن؛ ابن منظور، لسان العرب، (عسل).

٩- مَولًى جميلٌ جليلٌ ماجدٌ ورعٌ شهمٌ كميٌّ كريمُ النَّفسِ مِفْضالُ

١٠- مفتي الشآمِ عزيزُ الجارِ محترَمٌ مكرَّمٌ وعن الفحشاءِ ميَّالُ

١١- ما طابقَ الاسمُ والأفعالُ في رجلٍ سِواه، من هَوْلكَ للأثقالِ حمَّالُ

١٢- زاكي المواهبِ عالي المجدِ باسقُهُ زينُ الأفاضل قَوَّالٌ وَفعَّالُ

١٣- سهلٌ خلائقهُ، علمٌ طرائقهُ للشَّرِّ والخيرِ منَّاعٌ وبذَّالُ

١٤- سادَت دمشقُ على الأقطارِ قاطبةً بل زانَها منهُ إحسانٌ وإجمالُ

١٥- يا واحدَ العَصْرِ يا مَنْ لا نظيرَ لَهُ يا مَنْ لهُ ظهرَتْ في الكوْنِ أَفعالُ

١٦- عفَتْ ربوعُ النَّدى إلاّ لديكَ وكم عُفْتَ القبيحَ، وعفَّتْ منكَ أَذْيالُ

١٧- ومُذْ لبستَ بُرودَ العلمِ معلَمةً أَمسى عليكَ منَ الرَّحمنِ إجْلالُ

١٨- كمْ مُشكلاتٍ كشفتَ الآنَ غامضَها ولم يُحَلَّ لهـا لَوْلاكَ إشكالُ

١٩- ذللتَ يا حَسنُ الأعداءَ فارْتعدَتْ قلوبُهم واعتراهُمْ منكَ أَوْجالُ[1]

٢٠- قرَّتْ بعلمكَ كُلُّ الحاسدينَ، وها تلكَ المباحثُ ضمَّانٌ وكفَّالُ

٢١- عزَّتْ بكَ الشَّامُ يا مَولى العُلوم، وكم ذلَّتْ لعلمِكَ يومَ البحْثِ أَبطالُ

٢٢- رامَ العِدى أَنْ ينالوا بعضَ إذاً منْ بعضِ علمكَ في الدُّنيا فما نَالوا

٢٣- وكيفَ ذاكَ وعينُ اللهِ ناظرةٌ بها يعينُكَ جبريلٌ ومِيكالُ

٢٤- (ق ٨٠/ب) فأنتَ للشامِ ركنٌ مانعٌ سندٌ حقًّا، فلا راعَ ذاكَ الرُّكنُ زِلْزالُ

٢٥- أَخو الفقيرِ، وللأيتامِ أنتَ أَبٌ برٌّ، وأنت لنقصِ الحظِّ إكمالُ

٢٦- إليكَ أَهديتُ من روضَ البنانِ بدا ثغًا لها منْ رحيقِ النَّظمِ سِلْسالُ

٢٧- سيطربُ الدَّهرُ مهما أنشدَتْ وبها (والثنا لك واجيـــال)[2]

٢٨- ومَا عسَى تبلغُ الأَفعالُ في رَجُلٍ بجوده ضُرِبَتْ للنَّاسِ أَمثالُ

٢٩- عُليا جُدودٍ وآباءٍ لكَ انْتَظمَتْ وقَدْ زكَتْ لكَ أَعمامٌ وأخوالُ

٣٠- فلا بَرِحْتَ مُوَقًّى بالعنايةِ منْ رَبِّ السمَّاءِ ولا جالَتْ بكَ الحالُ

---

(١) الوجل: الفزع، الخوف؛ ابن منظور، لسان العرب (وجل).

(٢) فى ل. ورد فى الشطر الثانى: سيطربُ الدَّهرُ مهما أنشد. وشطبت كل كلمة بخط مائل. لذلك أسقطتها. وابقيت المثبت. وهو غير مشطوب. وبه لا يستقيم الوزن.

نُقِل مِنْ خَطِّ الشيخِ حسن البوريني رحمه اللهُ تعالى أيضًا ما صورته:

يوم الأربعاء ثالث جمادى الآخرة من شهور سنة ست عشرة بعد الألف، زارنا صاحبنا موسى[١] بن محمد بن جميل السباهي يومئذ بدمشق، وذكر أنّه سافر إلى جانب جبّة عسّال[٢] من نواحي دمشق، وأنّه رأى في مكان يُسمى عين الحوطى من أراضي جبة عسّال بئرا يجرى منها الماء الزّلال، وأنّ الماء يطفح منها، ويفيض إلى الخارج، فيسقى الأرض هناك، وينبت على سقايته في الأرض أنواع من الخيار، والقثّاء، والبطيخ، وما أشبهها، وأنها تستمرُّ فائضة بالماء إلى أن ينزل المطر في فصل الشتاء، فإذا نزل المطر تراجع الماء في تلك البئر، ولا يزال ينقص إلى أن لا يبقى في البئر من ذلك الماءِ شيء، فإذا انقطع المطر رجع الماء إلى البئر وفاض على عادته منها. وهلمّ جرّا. وهذا من العجائب. وقد أخبرني بذلك جماعة من إخواننا الصادقين الذين شاهدوا البئر المذكورة، والله أعلم. انتهى.

(١) انظر ترجمته في البوريني، تراجم الأعيان،(فيينا)، ق١٤٢/ب.

(٢) جبة عسّال: وتعرف بجبّةِ عُسَيل، ناحية بين دمشق وبعلبك تشتمل على عدة قرى. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ١٠٨/٢ .

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

أولاً- المصادر المخطوطة:

١ . ابن أيوب الأنصارى، موسى بن أيوب (ت بعد سنة ١٠٠٠/١٥٩٢)،الروض العاطر فيما تيسّر من أخبار أهل القرن السابع إلى ختام القرن العاشر، محمد القرن الحادى عشر/ السابع عشر، مكتبة برلين، رقم (٩٨٨٦)، مصوّر بحوزتى،٢١٠ ورقات.

٢ . البورينى، الحسن بن محمد (ت١٠٢٤/١٦١٥)، تراجم الأعيان من أبناء الزمان (القسم المخطوط)، لا ناسخ، القرن الحادى عشر/ السابع عشر، المكتبة الوطنية، فيينا رقم (mixt 396، (cod Arab 1190، مصوّر بحوزتى، ٣٣٠ ورقة.

٣ . الشهاب الخفاجى، أحمد بن محمد (ت ١٠٦٩/١٦٥٨)، خبايا الزوايا فيما فى الرجال من البقايا، رجب، ١٠٨٣/١٦٧٢، المكتبة الظاهرية، دمشق، رقم (٧١٠٩)، مصور بحوزتى، ٢٢٨ ورقة.

ثانيًا- المصادر المطبوعة

١ . ابن جمعة المقار، محمد (ت١١٥٦/١٧٤٣)، الباشات والقضاة، نشره صلاح الدين المنجد فى كتابة ولاة دمشق فى العهد العثمانى، دمشق، ١٩٤٩ .

٢ . ابن خلكان أحمد بن محمد (ت٦٨١/١٢٨٢)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، بيروت: دار صادر، ١٣٩٧/١٩٧٧، ج٥ .

٣ . ابن طولون، محمد بن على (ت٩٥٣/١١٤٦).

أ - إعلام الورى بمن ولى نائبًا من الأتراك بدمشق الشام الكبرى، تحقيق محمد دهمان، دمشق، ١٣٨٣/١٩٦٤ .

ب - القلائد الجوهرية فى تاريخ الصالحية، تحقيق محمد دهمان، دمشق، ١٣٦٨/١٩٤٩، ج١ .

٤ . ابن عساكر، على بن الحسن (ت٥٧١/١١٧٥)، تهذيب تاريخ دمشق الكبير، هذّبه ورتبه عبد القادر بدران، ط٢، بيروت: دار المسيرة، ١٣٩٩/١٩٧٩، ج٦ .

٥ . ابن العماد الحنبلى، عبد الحى بن العماد (ت١٠٨٩/١٦٧٨)،شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، بيروت: دار الآفاق الجديدة، لات، ج١، ٣، ٤، (ذخائر التراث العربى).

٦ . ابن كثير، عماد الدين إسماعيل (ت٧٧٤/١٣٧٢)، البداية والنهاية فى التاريخ، ط١، القاهرة: المطبعة السلفية، ١٣٥١/١٩٣٢، ج١٣ .

٧ . ابن معصوم، على بن أحمد (ت١١١٩/١٧٠٧)، سلافة العصر فى محاسن الشعراء بكل مصر، ط٢، الدوحة: مطابع على بن على، ١٣٨٢هـ.

٨ . ابن منظور، محمد بن مكرم (ت٧١١/١٣١١)، لسان العرب، بيروت: دار صادر، ١٣٨٨/١٩٦٨، ١٥ جزءًا .

٩ . أبو شامة المقدسى، عبد الرحمن بن إسماعيل (ت٦٦٥/١٢٦٦)، تراجم رجال القرنين السادس والسابع (الذيل على الروضتين)، تصحيح محمد الكوثرى، عناية عزت الحسينى، بيروت: دار الجيل، ١٩٧٤ .

١٠ . أبو الوفاء العرضى، أبو الوفاء بن عمر (ت١٠٧١/١٦٦٠)، معادن الذهب فى الأعيان المشرفة بهم حلب، حققه وشرحه محمد التونجى، ط١، حلب: دار الملاح، ١٤٠٧/١٩٨٧ .

١١ . البديرى الحلاّق، أحمد بن بدير (ت بعد ١١٧٥/ ١٧٦٢)، حوادث دمشق اليومية بين سنتى ١١٥٤ - ١١٧٦، تحقيق أحمد عزّت عبد الكريم، القاهرة: مطبعة لجنة البيان العربى، ١٩٥٩.

١٢ . البغدادى، عبد القادر بن عمر (ت١٠٩٣/١٦٨٢)، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب على شواهد شرح الكافية، ط١، بيروت: دار صادر، لا ت، ج٤ .

١٣ . البورينى، الحسن بن محمد (ت١٠٢٤/١٦١٥)، تراجم الأعيان من أبناء الزمان، تحقيق صلاح الدين المنجد، دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية، ١٩٥٩ و١٩٦٣، جزءان.

١٤ . الخالدى، أحمد بن محمد (ت١٠٣٤/١٦٢٤)، تاريخ الأمير فخر الدين المعنى، تحقيق أسد رستم وزميله، ط٢، لبنان: المكتبة البولسيّة،١٩٨٥، (مجموعة الدكتور أسد رستم: ٥).

١٥ . الخفاجى، أحمد بن محمد (ت١٠٦٩/١٦٥٨)، ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا، تحقيق عبد الفتاح الحلو، ط١، مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه، ١٣٨٦/١٩٦٧، جزءان.

١٦ . رضى الدين الحنبلى، محمد بن إبراهيم (ت٩٧١/١٥٦٣)، درر الحبب فى

تاريخ أعيان حلب، تحقيق محمود فاخورى وزميله، دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٧٢، ج١ .

١٧ . شمس الدين الغزى، محمد بن عبد الرحمن (ت١١٦٧/١٧٥٣)، ديوان الإسلام، تحقيق سيد كسروى حسن، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١/١٩٩٠، ج٣.

١٨ . الغزى، محمد بن محمد (ت١٠٦١/١٦٥١)، لطف السمر وقطف الثمر من تراجم أعيان الطبقة الأولى من القرن الحادى عشر، تحقيق محمود الشيخ، دمشق: وزارة الثقافة والإرشاد القومى، ١٩٨١-١٩٨٢، (إحياء التراث؛ ٥٧)، جزءان.

١٩ . القرمانى، أحمد بن يوسف (ت١٠١٩/١٦١٠)، أخبار الدول وآثار الأول فى التاريخ، دراسة وتحقيق أحمد حطينة وزميله، ط١، ١٤١٢/١٩٩٢، ج٣ .

٢٠ . المحبى، محمد أمين (ت١١١١/١٦٩٩)،

أ - خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر، القاهرة: المطبعة الوهبية، ١٢٨٤هـ، ٤ أجزاء.

ب - نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة، تحقيق عبد الفتاح الحلو، دار إحياء التراث العربى، ١٣٨٧/١٩٦٧، ج١ .

٢١ . النعيمى، عبد القادر بن محمد (ت٩٢٧/١٥٢٠)، الدارس فى تاريخ المدارس، تحقيق جعفر الحسنى، مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٨٨، ج١ .

٢٢ . ياقوت الحموى، ياقوت بن عبد الله (ت٦٢٦/١٢٢٨)، معجم البلدان، بيروت: دار احياء التراث العربى، لا ت، ٥ أجزاء.

ثالثاً- المراجع:

١ . بروكلمان (كارل)، تاريخ الأدب العربى: العصر العثمانى، ترجمة عمر صابر عبد الجليل، قسم ٨ (١٢-١٣أ)، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٥ .

٢ . الحافظ (محمد مطيع) وزميله، علماء دمشق وأعيانها فى القرن الحادى عشر الهجرى، ط١، بيروت، دمشق: دار الفكر المعاصر، دار الفكر، ١٤٢١/٢٠٠٠ .

٣ . الحبازى (مشهور)، الحسن البورينى أديبًا ومؤرخًا مع تحقيق ديوانه (٩٦٣/١٥٥٦-١٠٢٤/١٦١٥)، بيروت: جامعة القديس يوسف، معهد الآداب الشرقية، أطروحة دكتوراه، ١٤١٩/١٩٩٨ .

٤ . الحصنى (محمد أديب)، منتخبات التواريخ لدمشق، ط١، دمشق،

١٣٤٦/١٩٢٧، جـ ٢ .

٥ . الزركلى (خير الدين)، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط٥، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٠، ج٣، ٧ .

٦ . شراب (محمد)، معجم بلدان فلسطين، ط١، دمشق، بيروت: دار المأمون للتراث، ١٤٠٧/١٩٨٧ .

٧ . العلبى (أكرم)، تكملة شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، دمشق: دار الفكر،١٤١٢/١٩٩١، ج١ .

٨ . على (محمد كرد)، خطط دمشق، ط٣، دمشق، بيروت: مكتبة النورى، دار العلم للملايين، ١٤٠٣/١٩٨٣، ج٦ .

٩ . مرتين (الأب اليسوعى)، تاريخ لبنان، ترجمة رشيد الشرتونى، حققه وفهرسه نظير عبود، ط٢، بيروت: دار مارون عبود، ١٩٨٦ .